المكتب 17

إدارة المهام الخاصة

روايات مصرية للجيب

13

عملية.. الوجه الآخر

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

عملية ..
الوجه الآخر

لكل وجه مضىء وجه آخر ..
ولكل وجه مظلم وجه آخر ..
ولكل وجه بلا ضوء وجه آخر ..
على (عمـر زهران) هنا أن يدرك
الفرق ما بين الوجهين ..
ولكن ..
قبل فوات الأوان .. !



٢٧ / ٥ / ٢٠٠٣

محمد سليمان عبد المالك

المكتب 17

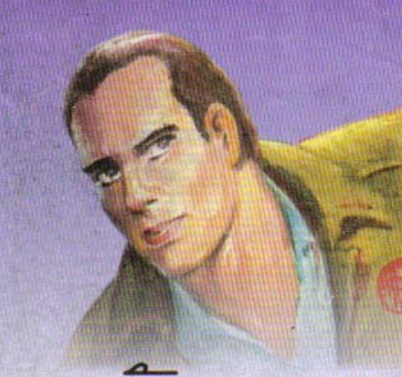
إدارة المهام الخاصة

★★★★

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق



العدد القادم
عملية الزومبى



الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

١ ـ ذلك الرجل الذى ..

نهار صحو ، وزحام محدود حول حوض الاستحمام ..

عكست نوافذ المبنى الأبيض الشاهق الارتفاع غروب الشمس البعيدة خلف الجبال ، فيما تلون المدى بلمسة أرجوانية جعلت السحاب المتناثر فى قلب السماء يبدو وكأنه لمسة بارعة لفنان تشكيلى مبدع ..

ـ جاهز ؟!

هتفت بها الشابة ذات الشعر البنى المعقوص والجمال الباهت بلكنة أمريكية واضحة ، موجهة حديثها إلى رجل الكاميرا الجالس على أريكة الاستحمام القماشية بجوارها ..

رفع رجل إبهامه فى مواجهتها هاتفًا من وراء الكاميرا المحمولة على كتفه :

ـ جاهز ، (كارلا) ..

التفتت (كارلا) إلى الرجل الهادئ الجالس أمامها ، تفصل

بينهما منضدة فوقها كوبان وزهرة فى إناء ، وتأملت ملامحه السمراء وشعره المصفف وعويناته الأنيقة وبذلته ذات الألوان الهادئة للحظة ، قبل أن تسأله :

ـ وأنت يا دكتور (إسماعيل) ، جاهز ؟!

رشف الدكتور الشاب آخر ما تبقى من قهوته ، وابتسم معتدلاً فى جلسته :

ـ أنا جاهز منذ ما يقرب من نصف الساعة !

بادلته الابتسام وقالت :

ـ أنت تعلم أن الإعداد يستغرق وقتًا أطول من التصوير عادة ..

سوى أوراقه القابعة فوق المنضدة أمامه وهو يقول فى ود فطرى :

ـ بالتأكيد ، هل ستسألينني فى النقاط التى تحدثنا عنها على الترتيب ؟!

قالت وهى تهز رقبتها وتلوح بكفيها :

ـ لا .. لا ، الإعلام الأمريكى لا يعترف بالحوارات إلا فى عروض التحدث وبرامج الحوارات المتخصصة ، لكن الأمر

سيذاع على شكل تحقيق إخبارى خاص كجزء من تغطية شاملة عن المؤتمر ..

هز رأسه بدوره فى تفهم :

ـ أرى هذا ، لكنى لن ألقى محاضرة بالتأكيد ..

ضحكت فى مهنية قبل أن تقول :

ـ ولا هذا أيضًا ، يمكننا أن نسجل عدة فقرات على الترتيب تتحدث فيها أولا عن المؤتمر وأهميته ، والكيفية التى يمكن أن يغير بها شكل العالم الذى نحياه ..

قاطعها ملوحًا بسبابته :

ـ عذرًا ، لكنى سأشير أيضًا إلى فخرى بأنه يقام على أرض بلادى هنا فى (طابا) ..

ـ هذا من حقك تمامًا ، بعدها ستتحدث عن إنجازاتك العلمية السابقة باختصار ، والتى أطلق عليك بسببها لقب (السيد هيدروجين) فى الأوساط العلمية المرموقة ووسائل الإعلام محلية وعالمية ..

ابتسم فى تواضع ، بينما واصلت هى :

ـ .. بعدها ستحدثنا عن مشروعك (نيل ٧) ..

قال مذكرًا :

ـ كما اتفقنا ، بدون تفاصيل ..

قالت هازة كتفيها :

ـ كما تحب ، وإن كنا على استعداد لدفع الكثير !

ابتسم وهو يرمقها قائلاً :

ـ لو كانت المسألة نقودًا لكنت من أثرياء العالم المعدودين الآن ، ولكان ما ستدفعونه مهما بلغ الرقم نقطة فى بحر أرصدتى البنكية !

هزت رأسها متفهمة وهى تقول :

ـ أفهم هذا ، فالشركات العالمية ستتهافت بالتأكيد على شراء حق تصنيع نموذج محرك السيارات الهيدروجينى الذى صممته ، والذى يجعل السيارات تسير بالماء وحده !

قال وبسمته تتسع :

ـ ليس هذا فحسب ، لكن القوى المضادة أيضًا مستعدة لدفع الكثير !

قطبت مستغربة التعبير :

ـ القوى المضادة ؟!

هز رأسه بالإيجاب ثم قال موضحًا :

ـ بالتأكيد ، القوى التى لا تريد لشىء كهذا أن يرى النور !

ازداد استغرابها :

ـ ماذا تعنى ؟!

تراجع بظهره ليلامس مقعده ، وبدأ يستطرد :

ـ فكرة السيارة التى تعمل بالماء بديلاً عن الوقود الأحفورى المتمثل فى البنزين أو الغاز الطبيعى فكرة مطروحة منذ عشرات السنين ، أى أننى لم أبتكرها ، والفكرة تقوم على ما اصطلح العلماء بتسميته (خلية الوقود) ، التى يتم فيها تحطيم جزىء الماء ـ المكون من ذرتى هيدورجين وذرة أكسجين ـ بكهرباء عالية التيار ، فيتحرر الهيدورجين ليتم إدخاله فى القطب السالب من دائرة كهربية منقسمًا إلى بروتونات موجبة ، وإلكترونات سالبة ، بينما يتم إدخال الأكسجين إلى القطب الموجب ليجتذب الإلكترونات السالبة ، وعن طريق إضافة غشاء بلاتينى يمكن منع الإلكترونات من التحرك المباشر إلى الجانب الموجب ، فلا يكون أمامها إلا المرور من خلال دائرة كهربية خارجية كتيار يمكن استخدامه ، أما البروتونات التى يمكنها المرور من خلال

الغشاء فتندمج مع الأوكسجين ليصبح العادم الذى لدينا من جديد هو الهيدروجين والأكسجين المتحدان فى صورة جزىء ماء ، بمعنى أن تلوث البيئة الناتج من عملية كهذه يساوى الصفر تقريبًا(*) ..

وجمت (كارلا) للحظات محاولة مجاراة سرعة حديثه وعرض أفكاره ، ولكنها قالت فى النهاية :

ـ رغم عجزى عن الفهم الكامل إلا أن السؤال الذى يطرح نفسه هاهنا : ما دام الأمر بهذه السهولة ، فلماذا تسير السيارات حتى الآن بالوقود العادى إذن ؟!

قال مستلذًا بكل حرف ينطقه :

ـ المشكلة ليست فى النظرية بقدر ما هى فى التطبيق ؛ بمعنى أن الوقود الأحفورى من مشتقات النفط ـ الذى يمد عالم اليوم بأكثر من ٩٠ بالمائة من احتياجات الطاقة ـ ما زال هو الأرخص سعرًا والأكثر انتشارًا ، أضيفى إلى ذلك ارتفاع سعر استخلاص الهيدروجين بكميات كافية ، والتكلفة العالية لصنع محركات الوقود المائى ..

رفعت حاجبيها وقالت مقتنعة :

ـ هذا يفسر الكثير ..

(*) النظرية صحيحة ويتم تطبيقها الآن بالفعل ..

ـ وهذا ما أحاربه فى تصميمى الجديد لمحرك السيارات (نيل ٧) ، الجيل السابع من تجارب طويلة على خلايا الهيدروجين ، والذى سيكلف صنعه القليل جدًا ، وسيوفر سعرًا خرافيًا لوقود الهيدروجين ، إذ يكفى أن تصبى الماء فى خزان الوقود حتى يعمل المحرك بشكل رفيع الكفاءة مولدًا طاقة نظيفة عالية الجودة ..

علقَت قائلة بنبرة لم تخفِ ذهولها :

ـ سيكون الأمر بمثابة ثورة حقيقية على كافة الأصعدة يا دكتور ، ثورة على المستوى الأفضل بالطبع ..

صمت الدكتور الشاب لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هذا هو الوجه الظاهر للأمر ، لكن ..

صمت مرة أخرى ، ثم :

ـ .. لكل شىء وجهان ، وجه ظاهر .. ووجه آخر !

سألته بعينيها عما يعنى ، فقال موضحًا :

ـ .. هناك الكثيرون ممن لن يروق لهم أن يخرج هذا الابتكار للنور ..

سألته بلسانها هذه المرة :

ـ من تعنى ؟!

أجابها ، وكان سيفعل لو لم تقلها :

ـ أعنى من تتعارض مصالحهم مع وجود مصدر نقى ومجانى تقريبًا للطاقة ..

استوضحت منه :

ـ شركات البترول العالمية على سبيل المثال ؟!

ابتسامة غامضة وإجابة بعيدة عن السؤال :

ـ لقد تعاقدت مع شركة مصرية للبدء فى إنتاج المحركات قريبًا بمبلغ معقول ، وجاءنى عرض يسيل له اللعاب ، بمبلغ لم أحلم به طوال حياتى ، بالإضافة لعرضٍ من جامعة مرموقة للعمل والتدريس والبحث فيها ، وذلك حتى أبيع الابتكار لجهة أخرى تنوى إنتاجه كما قيل لى ، ولكن دون (قريبًا) !

ـ ورفضته ؟!

ـ بالتأكيد !

نظرت إليه (كارلا) لتستوثق من الصدق أو عدمه فيما يقول ، بينما قال هو مراقبا بعينيه أشعة الشمس الذاوية بعيدًا :

- .. ربما ترينني كاذبًا ، أو مخبولاً ، أو مريضًا .. لكنى أحلم بأن يكون ابتكارى هذا رائدًا لثورة ترفع بلادى إلى ذرى بعيدة ، عالية ، تتربع بها من جديد على عرش الحضارات والعلوم والريادة ..

قالت (كارلا) :

- لكنك بهذا تخسر فرصة عظيمة لن تتكرر ..

- للارتقاء ؟!

- بالتأكيد ..

- لن يرتقى وطنى إلا إذا فكرت فى الارتقاء بشخصى من خلاله ..

- وجهة نظر جديرة بالاحترام يا دكتور ، عشقك لوطنك ظاهر منذ اللحظة التى بدأنا نتحدث فيها ..

- أبدأ التسجيل يا (كارلا) ؟!

هتف بها رجل الكاميرا الذى ضبط عدسته وزوايا إضاءته كما ينبغى ، فهتفت بدورها :

- انتظر إشارة يدى المتفق عليها ..

وعاودت النظر نحو (إسماعيل) :

- .. كما اتفقنا ، ستتحدث فى البداية يا دكتور عن الدورة العاشرة لمؤتمر (الطاقة البديلة : آفاق جديدة) ..

هز (إسماعيل) رأسه واعتدل فى جلسته ، بينما مدت نحوه (كارلا) الميكروفون الذى يستقر حول قاعدته مكعب شعار (فى . بى . سى نيوز) الشهير ..

- جاهز ؟!

وبإشارة من يدها أضاء مصباح الكاميرا الأحمر ، وانطلق الدكتور (إسماعيل) :

- مؤتمر (الطاقة البديلة : آفاق جديدة) هو ملتقى كل الحالمين بمصادر أخرى للطاقة من جميع أنحاء العالم ، خاصة فى ظل التهديدات المتلاحقة بانخفاض حاد فى إمدادات النفط العالمية مع نهاية العقد الأول للقرن الحادى والعشرين ، وتنظمه سنويًا المنظمة العالمية للطاقة البديلة التى وقع اختيارها على (مصر) لتقام على أرضها الدورة العاشرة فى (طابا) بجنوب سيناء ، بمشاركة أكثر من ٢٣ دولة و ٤٢ عالمًا من المؤسسات العلمية العالمية المرموقة ..

هتـــاف :

ـ قطـع ..

★ ★ ★

أضواء بهو الفندق ، وموسيقى ساكسفون (كينى جى) الناعمة تلف المكان بغلالة من السحر والرومانسية ، ورجال العلم هنا وهناك ..

كان الدكتور (إسماعيل) أمام لوحة ملصقات المؤتمر يطالع جدول أعمال الغد ، عندما اخترقه من الخلف الهتاف المباغت :

ـ أنت المصرى إذن ؟!

التفت بسرعة واستغراب نحو الهاتف ؛ رجل طويل القامة نحيف القوام أشقر الشعر كالح اللون ، بذلته فضفاضة عليه ونظارته مقيتة !

ـ أدعى الدكتور (إسماعيل) ..

قالها (إسماعيل) باتزان متماسك ، فقال الرجل بعنجهية تفوق نظارته متعتًا :

ـ أعلم ، أعلم .. أنت إذن من يدعى أن هناك قنبلة سيفجرها فى محاضرة الغد ..

بنفس الاتزان المتماسك قال (إسماعيل) :

ـ بالفعل أنا صاحب هذا الادعاء ، لكن .. هل لى أن أتشرف بمعرفتك أولاً ؟!

رفع الرجل كتفيه الساقطتين فى محاولة للتفاخر الكاريكاتيرى وقال :

ـ البروفسير (فوكر) .. (أنتونى فوكر) العالم الهولندى الشهير !

ـ تشرفت بلقائك ..

قالها (إسماعيل) فى تأدب لم يخل من استخفاف لا إرادى ، فتابع الرجل :

ـ تخصصى طاقة الريح ، ولعلك قرأت بحثى الميدانى الأخير عن تسخير الرياح عند شواطئ جزيرة (لويس) لتوليد الكهرباء من طواحين الهواء !

ـ للأسف لم يحالفنى الحظ حتى الآن ..

ـ على أمثالك من العلماء أن يكونوا مطّلعين ، عموما أنا أتحرق شوقًا لتلك الدعابة التى تود إلقاءها فى وجوهنا نهار الغد ..

بدأ (إسماعيل) يشعر بالضيق :

ـ أنا لا أجيد إلقاء الدعابات !

ـ محرك يعمل بالماء ، دعابة قديمة لكنها لا تفقد سحرها أبدًا ..

ندت عن ضئيل أصلع الرأس حاد الأنف والعينين والذقن انضم لهما ، وقد كان يسترق السمع كما كان جليًا من عبارته ..

ـ هذه قناعتى أنا أيضًا يا بروفسير (شمعون) ..

وقبل أن ينطق (إسماعيل) وجد يد القصير تمتد إليه بالمصافحة والحديث :

ـ أنا البروفسير (دانى شمعون) أستاذ كرسى فى كلية العلوم جامعة (تل أبيب) ، متخصص فى أبحاث الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية ..

صافحه (إسماعيل) مرغمًا وهو يخفى نفوره بصعوبة ، ثم غمغم متهكمًا :

ـ سلمية ؟!

قال (دانى شمعون) :

ـ أشك فى أنك قد توصلت إلى ما تدعيه يا دكتور ..

الضيق فى نفس (إسماعيل) يتعاظم لكنه يجاهد لكبحه والسيطرة عليه :

ـ إن غدًا لناظره قريب !

وقبل أن يتمادى أى منهما فى غيه ، سبقهما قائلاً :

ـ .. اسمحا لى بالاستئذان ، فأنا من هواة النوم مبكرًا ..

وهم بالابتعاد عندما قال (شمعون) ببسمة صفراء كريهة :

ـ بالمناسبة ، تم تسكيننا نحن الاثنين فى الطابق الذى تسكن فيه ، دكتور (إسماعيل) ..

وتبعه (فوكر) بسماجة المتغطرسين :

ـ يمكننا إذن أن نصعد معًا ..

جلدهما (إسماعيل) بعينيه ، قبل أن يقول :

ـ سأذهب إلى المطعم أولاً ، فلم أتناول عشائى بعد ..

وتركهما قبل أن ينطق أى منهما حرفًا إضافيًا ، وتابعه الاثنان بعيون مترقبة ، قبل أن يلتفتا ويتبادلا نظرتين لهما مغزى خاص جدًا ..

★ ★ ★

دار المفتاح فى الباب ..

انفتح الباب ..

اجتاز الدكتور (إسماعيل خيرى) العتبة بخطوتين قصيرتين ..

مد يده نحو زر الإضاءة ..

أغلق الباب خلفه والنور يغمر الحجرة الصغيرة ..

المفاجأة ..

فوضى ..

كل شىء مبعثر ..

أوراق وكتب وملابس وحاجيات شخصية وستائر ومناشف وملاءات ..

كل شىء فى غير موضعه ، كل شىء مقلوب رأسًا على عقب ..

احتل الفزع والذهول والصدمة ملامح الدكتور (إسماعيل) ..

أعجزه المشهد عن القدرة على فعل أى شىء ..

على التفوه بأى شىء ..

ما الذى حدث ؟!

ما الذى يحدث ؟!

ما الذى سيحدث ؟!

ثم اندلعت الصاعقة فى رأسه بغتة :

التصميمات ..

(نيل ٧) ..

حقيبة التصميمات التى سيعرضها فى مؤتمر الغد ..

هرع إلى الدولاب الذى لفظ أغلب محتوياته ، بحث بعينيه ..

بيديه ..

بقدميه ..

بكل خلية من جسده المنتفض ..

سرقت الحقيبة ..

سرقت التصميمات ..

سرق الحلم وتبخرت كل الرؤى فى لحظة عبثية يشاهدها من الخارج كأنها تحدث لشخص غيره ..

لشخص لم يفقد القدرة على المتابعة والنقد والتحليل ..

لم يفقدها .. بعد !

لهاث مستعر ، ولا خيار أمامه ..

قفز فوق الغرفة المبعثرة على الأرضية والسرير ..

انتزع الهاتف الداخلى من أسفل المرآة ، وضغط رقمى مكتب الأمن الداخلى ..

رنين متصل ..

رنين ..

ـ آلو ، مكتب الأمن ..

تتداخل الكلمات والحروف ..

تقفز وتتصارع فى عقله وأمام بوابة الفم ..

ـ غرفتى سرقت ..

العرق يغمر وجهه ، وقلبه يعلن العصيان ، والارتجاف يتمرد ..

ـ من معى ؟!

أراد أن ينطق باسمه :

ـ الدكتور ..

عندما لمح فى المرآة أمامه ذلك الرجل الذى ..

ـ .. (إسماعـ ..

يصوب نحوه مسدسًا بفوهة ضخمة ، من أمام باب دورة المياه ..

ذلك الرجل الذى ..

ـ من ؟! ما رقم الغرفة من فضلك ؟! آلو .. آلو ..

العرق يقطر من جبهته ، السماعة تنتفض فى يده وهو يهبط بها ، أنفاسه تتلاحق كأمواج البحر الثائر وهو يلتفت إلى ذلك الرجل ..

ذلك الرجل الذى ..

ـ أنت ؟!

ـ الوداع يا دكتور !

قالها ذلك الرجل الذى ..

وانطلقت رصاصة بلا صوت ..

رصاصة استقرت فى الرأس ..

رصاصة فجرت الدم ، ومزقت الحيـاة ، وحولت الجسد إلى جثة تسقط على الأرض ..

ـ آلو .. آلو ..

ثم رنين متصل ..

رنين ..

يختفى بعده ذلك الرجل الذى ..

ذلك الرجل الذى ..

كان القتيل يعرفه جيدًا !

★ ★ ★

٢ ـ موعد على العشاء ..

أضواء خافتة وشموع موقدة ، موسيقى ساكسفون (كينى جى) الناعمة تلف المكان بغلالة من السحر والرومانسية ، والعاشقون هنا وهناك ..

ـ إلى الأبد فى حب !

قالها شاب حليق الرأس وسيم الملامح يرتدى حلة مسائية أنيقة ؛ تتلألأ ربطة عنقه القرمزية فوق قميصه الأزرق ، مع رائحة (الكارولينا هريرا) التى تفوح منه لتضفى عليه لمسة من سحر خفى ..

ـ ماذا ؟!

قالتها الشابة ذات الحسن الصامت والشعر المنسدل على كتفيها ، فى حين انعكس لهب الشمعة فوق عدسة نظارتها الطبية التى انسجم لون إطارها مع ألوان ثوبها المسائى الرقيق الحالم ..

قالتها فى تساؤل لم يحمل انفعالاً قويًا ، تساؤل أقرب إلى البرود لكنه ليس برودًا !

ابتسم الشاب وهو يقول باسمًا :

ـ المقطوعة الموسيقية الساحرة هذه ، عنوانها (إلى الأبد فى حب) .. إنها أقرب مقطوعاته إلى قلبى ..

واتتها الجرأة لتسأله :

ـ من ؟!

قال غير مخفٍ دهشته :

ـ (كينى جى) ، ألست من هواة سماعه ؟!

قالت وهى تضم كفيها أمام وجهها :

ـ أفضل الموسيقى الكلاسيكية ..

سألها وهو يضم كفيه بدوره مقلدًا إياها ، ربما بحركة لا إرادية :

ـ (بتهوفن) مثلاً ؟!

قالت وقد سرق منها بسمة خاطفة :

ـ عشقى الأول هو (موزارت) ، بعده تتساوى الرءوس ..

ـ لقد قتلنى بروائعه (الناى السحرى) .. قتلنى قتلا !

سرق منها أيضًا بسمة تتسع :

ـ إنها مقطوعتى المفضلة أنا أيضًا ..

نظر إليها مليًّا ، قبل أن تفاجأ به يقول :

ـ هذه ليلة خاصة جدًا يا (دينا) !

صمتت ، وخفق قلبها على الرغم منها ..

ـ .. أشكرك ..

سألته وملامحها الجامدة تلين على الرغم منها :

ـ علام الشكر ؟!

ـ على تلبيتك لدعوتى على العشاء !

قالت وصوتها يصبح ناعمًا على الرغم منها :

ـ الأمر لا يستحق الشكر يا (عمر) ، نحن زميلان فى الإدارة ، وقد خضنا معًا مـ ..

قاطعها :

ـ الأمر بالنسبة لى يتجاوز هذا فى الحقيقة ..

ألقاها وساد بينهما الصمت ، ريثما ينتهى النادل من وضع أطباق العشاء أمامهما .

صمت شد أعصاب (عمر زهران) كأوتار الكمان الأخيرة ..

وصمت تمنّت معه (دينا واصف) لو أنها قد ولدت بلا قلب ..

وعندما ابتعد النادل أخيرًا ، ملأ (عمر) رئتيه بالهواء مستمدًا الشجاعة بالقصور الذاتى ، واصلاً ما انقطع :

ـ كنت أقول إننى ..

.. لكن كل شىء انتهى قبل أن يبدأ ..

كل شىء انتهى برنين خافت مميز تصاعد من ساعة معصمه ..

ورنين آخر له نفس الخفوت والتميز تصاعد من حقيبة يد (دينا) ..

رنين جعلهما يتبادلان نظرتين ، وخيبتى أمل ..

ـ إنها الإدارة !

قالتها (دينا) وهى تستعد للوقوف ، فى حين نظر (عمر) إلى أطباق الطعام الماثلة فوق المنضدة ؛ الأطباق التى سيضيع ثمنها هدرًا ، قبل أن يمط شفتيه مغمغمًا فى حسرة :

ـ أجل .. إنها الإدارة ..

وعلى الفور طرقع بإصبعيه هاتفًا :

ـ الفاتورة !

★ ★ ★

أطلق النحيف ذو الشارب الكث صفيرًا طويلاً إذ شاهد (عمر زهران) و(دينا واصف) يدلفان عبر بوابة الإدارة الرئيسية ، وهتف مداعبًا بصوته الجهورى المعهود :

ـ هل اشترى (الهيلتون) حق إدارة المكتب ١٧ أم ماذا ؟!

التفت (عمر) إلى (دينا) قائلاً :

ـ إنه الوقت المناسب حقًا لدعابات (نادر الشريف) !

قالت (دينا) فى جدها المعهود :

ـ كنا نتناول العشاء عندما فوجئنا باستدعاء الإدارة !

غمز (نادر) بعينه فى حركة مكشوفة وهو يهتف فى خبث :

ـ اللواء (حفنى) قد قطع موعدًا خاصًا إذن !

تجاهلا ما فى دعابته من تلميح لا تنقصه الصراحة أو الفضيحة ، واهتم (عمر) سائلاً :

ـ اللواء (عفت حفنى) شخصيًا هو من استدعانا ؟!

هزت (دينا) كتفيها وهى تقول :

ـ ظننته العميد (حرب) كالمعتاد ..

قال (نادر) :

ـ العميد (حرب) فى (كوبنهاجن) لإنهاء بعض الأمور ، وأظنه لم يكن ليستدعيكما لو كان موجودًا !

تجاهل (عمر) قوله مجددًا ، وغمغم ناظرًا إلى (دينا) المتألقة جمالاً وبهاء :

ـ الأمر خطير إذن !

★ ★ ★

ـ اجلسا بسرعة ، فالأمر خطير جدًا !

قالها اللواء (عفت حفنى) مشيرًا إلى (عمر) و(دينا) بالجلوس على المقعدين الشاغرين أمام مكتبه ، فامتثلا ، بينما انهمك هو فى تقليب أوراق أمامه ، وفى النظر إلى شاشة الحاسب الآلى الأسود حيث تتغير البيانات سريعًا ..

ساد الصمت لثوانٍ قبل أن يرفع اللواء رأسه نحوهما فيفاجأ بمرآهما :

ـ هل كنتما فى مناسبة خاصة أم ماذا ؟

اعترى (دينا) حرج ما ، بينما سارع (عمر) يقول :

ـ ليست مناسبة ياسيدى ، وإنما مجرد دعوة على العشاء !

طرد الفكرة وولج من فوره إلى صلب الموضوع :

ـ ليكن ، ستتجهان الآن فورًا إلى (طابا) عبر طائرة مروحية خاصة تقلع من قمة مبنى الإدارة خلال عشر دقائق على الأكثر ..

قطبت (دينا) :

ـ (طابا) ؟!

وقطب (عمر) :

ـ ماذا حدث هناك يا سيادة اللواء ؟!

أجاب اللواء (عفت) على الفور :

ـ جريمة ، نقيب (عمر) ..

وأردف موضحًا أكثر :

ـ .. جريمة قتل !

صمت ، ثم محاولة (عمر) المترددة :

ـ عذرًا ياسيدى ، ولكن .. أليست هذه الجرائم من اختصاص جهازى الشرطة والنيابة العامة ؟!

- أنت تتحدث عن جرائم القتل العادية ، ونحن نتحدث هنا عن جريمة غير عادية ..

وعاد اللواء يردف ويوضح :

- .. القتيل هو العالم المصرى الدكتور (إسماعيل خيرى) المتخصص فى أبحاث الطاقة البديلة ، وقد وجد مقتولاً برصاصة فى الرأس داخل غرفته بفندق (طابا) منذ ما يقرب من نصف الساعة فقط ، وقد وجدت الغرفة على حالة يرثى لها من الفوضى الهائلة ..

كان اللواء (حفنى) يتحدث وهو يشير لهما إلى الصور التى تعرضها شاشة حاسبه الآلى للدكتور القتيل حيًّا يتسلم إحدى الجوائز العلمية ، ثم لغرفته المقلوبة عقبًا على رأس ، ثم لجثته ودمائه ، ثم لرجال الأمن والبحث الجنائى المنتشرين فى المساحة الضيقة للجدران ..

غمغم (عمر) وهو يحدق فى الشاشة بمنتهى الاهتمام :

- قتل بغرض السرقة إذن ..

قال اللواء مؤيدًا :

- يبدو هذا جليًّا ، خاصة أن القتيل قد اتصل بمكتب الأمن

الخاص بالفندق قبل اكتشاف جثته بدقائق ليقول إن غرفته قد سرقت ، ثم انقطع الاتصال بغتة دون أن يسمع أى صوت لإطلاق رصاص أو تهشم زجاج مما يعنى أن الرصاصة قد أتت من داخل الغرفة عبر مسدس مزوّد بكاتم للصوت !

قال (عمر) وعقله يعمل بسرعة :

- معنى هذا أيضًا أنه عندما دخل غرفته ووجدها على هذه الحال من الفوضى اتصل بمكتب الأمن ، لكنه قتل قبل أن يتم الاتصال .. أى أن القاتل فر خلال الدقائق الفاصلة بين اتصال الدكتور بمكتب الأمن واكتشاف رجال الأمن لجثته ، والمفترض أنه فاصل زمنى قصير للغاية .. إننا نتعامل مع قاتل محترف إذن !

تدخلت (دينا) قائلة :

- هل كان المسروق من الغرفة مهمًّا إلى هذه الدرجة ؟!

- هذه أهم النقاط بالفعل أيتها الجميلة !

وعاد اللواء يردف ويوضح :

- .. لقد سافر الدكتور (إسماعيل خيرى) من مقر إقامته فى (القاهرة) إلى (طابا) منذ يومين لحضور فعاليات

مؤتمر عن الطاقة البديلة ، وكان بصدد طرح تصميم هندسى لمحرك يعمل بوقود بديل عن الوقود العادى ، الماء !

مندهشًا ردد (عمر) :

ـ محرك يعمل بالماء ؟!

قالت (دينا) هازة رأسها فى فهم وتفهم :

ـ تقصد خلايا الهيدروجين المستخلص من الماء يا سيادة اللواء ؟!

ـ شىء من هذا القبيل ..

قالها (عفت) قبل أن يتابع :

ـ .. المهم أن رجال الأمن لم يعثروا بعد مصرعه على أثر لهذه التصميمات ..

قال (عمر) مفكرًا :

ـ ربما كان قد أخفاها قبلها فى مكان ما !!

ـ احتمال ضئيل ..

قالها (عفت) قبل أن يتابع :

ـ .. المعلومات الواردة من الفندق عبر مصادر متعددة

تقول إنه كان يحتفظ بالنسخ الأصلية الوحيدة من تصميمات المحرك (نيل ٧) فى حقيبة داخل غرفته التى رأيتم ما آلت إليه ..

قالت (دينا) مستنتجة :

ـ إنه ليس حادثًا فرديًا عفويًا ، بل إن هناك جهة ما تصبو لئلا يرى تصميم المحرك النور ..

ـ هناك أكثر من دليل على هذا ، منها سرقة الحقيبة بالطبع ..

قالها (عفت) قبل أن يتابع :

ـ .. ومنها العرض الذى تلقاه فى الصباح عبر الإنترنت بشراء تصميمه بمبلغ مائة مليون دولار أمريكى فى مقابل أن يتراجع عن عرضه أمام جمهور المؤتمر !

صفر (عمر) طويلاً بقدر ما طالت دهشته قبل أن يقول :

ـ مائة مليون !!

بينما سألت (دينا) وقد استحوذ الأمر على انتباهها كلية :

ـ عرض أتاه ممن ؟! وكيف بلغنا نبأه ؟!

قال اللواء باسمًا وهو يغوص فى مقعده الوثير :

ـ من جهة رفضت ذكر هويتها صراحة ، وقد تحدث هو عنه أمام أكثر من ميكروفون صحفى وإعلامى قبيل ساعات من مقتله ..

ضيق (عمر) عينيه وهو يسأل :

ـ وهل حوى العرض تهديدًا من أى نوع ؟!

أجابه اللواء (حفنى) :

ـ لم يذكر الدكتور الفقيد شيئًا عن أمر كهذا ، لكننا نعمل على اختراق بريده الإلكترونى لنطّلع على الرسالة التى حوت العرض بأنفسنا ـ إن لم يكن قد مسحها من صندوق الوارد ـ علنا نستدل منها على خيط نسير خلفه ..

والتقط اللواء أنفاسه ، واستجمع أفكاره قبل أن يقول :

ـ .. مهمتكما فى (طابا) تنحصر فى أمرين مهمين : العودة بحقيبة تصميمات المحرك الهيدروجينى (نيل ٧) ، ومعرفة قاتل الدكتور (إسماعيل) والقبض عليه ..

اختلجت عضلات وجه (عمر) وهو يقول فى حماسة :

ـ بإذن الله يا سيدى ..

أما (دينا) فقد لمعت عيناها من خلف نظارتها ، ونقل اللواء (حفنى) بصره بينهما قبل أن يقول :

ـ لن أوصيكما بالطبع أن تأخذا كل الحذر ، وألا تستبعدا أى شخص من دائرة الشبهات ..

ثم يردف :

ـ .. أى شخص !

* * *

٣ ـ المفتـــاح ..

هدرت المروحيـة الهابطة فـوق سطح الفندق على خلفيـة من ليل وأضـواء ، فأغلقت العيـون وصمّت الآذان وأطـارت المعاطف والشعور قبل أن يهدأ كل شىء رويدًا رويدًا ، وينفتح البـاب ليهبط النقيب (عمر زهران) فى حلته الأنيقة ، ومـن خلفه (دينا واصف) فى ثوبها المسائى الرقيق الحالم ، وتحت إبطها حاسبها الآلى النقال ..

ـ مبعوثا المكتب ١٧ ؟!

هتف بها ضابط أمن الفندق فى تساؤل ، وهـو يعلـى من نبرته قدر جهده ليكون مسموعًا من خلال هدير المروحيـة ؛ الذى لم يتلاش كليًّا بعد ..

أخرج (عمر) بطاقة هويته وشهرها فى وجه الرجل هاتفـًا بدوره :

ـ النقيب (عمر زهران) ..

وأشار إليها :

ـ .. وهذه (دينا واصف) خبيرة التقنيات ..

حدق الضـابط مليـًا فى البطـاقة ، وبعـد أن تلاشى هديـر المروحيـة كليًّا نقل بصره إلى وجـه حاملهـا ـ (عمر) ـ وأخـذ يحدق قبل أن يسأل :

ـ أما زلت حليق الرأس حتى الآن يا رجل ؟!

انعقد حاجبا (عمر) وهو يحدق فى ملامح محدثه بدوره على أضواء مهبط المروحية القويـة السـاطعة ؛ الوجـه المربـع والعينـان الواسعتان والأسنان التى أحـالت السجائر بياضهـا اصفرارًا خلف شفتين غليظتين ..

وانبثقت الذكرى فجأة من أعمق الأعمـاق ..

ـ (شاهين) ؟!

هتـف بهـا (عمـر) متهلـل الأسـارير ، فقـال ذو الشـفتين الغليظتين باسمًا :

ـ أجل ، (شاهين مختار) .. زميلك فى الكلية الجوية سابقًا !

ضحكا وهمـا يتعانقـان ويضـرب كـل منهمـا ظهـر الآخـر بكفه فى حفاوة واشتياق ..

قال (شاهين) بفرح حقيقى :

ـ انقطعت أخبارك منذ تخرجنا يا رجل ..

وقال (عمر) بفرح لا يقل عنه :

ـ التحقت بإدارة العمليات الخاصةِ من وقتها ، ماذا عنك ؟!

قال (شاهين) دون أن تتلاشى سعادته باللقاء على غير ميعاد :

ـ أصبت فى إحدى المناورات القتالية ، وعملت بعد شهور العلاج كضابط أمن منشآت خاصة ، منذ سنين طويلة وأنا هنا فى (طابا) ..

ربت (عمر) على كتفه وقال :

ـ هذا من حسن حظى اليوم إذن ..

مال (شاهين) على أذنه هامسًا ، وهو يشير إلى (دينا) الواقفة فى استكانة خلفه :

ـ رفيقتك باهرة الحسن يا صاح ..

لكزه (عمر) فى كتفه قائلاً :

ـ مازلت مشاغبًا كعهدى بك ، حتى فى أحلك المواقف سوادًا !

وغير مسار الحديث بقوله :

ـ .. هل من جدِّيد بشأن الحادث ؟!

قال (شاهين) :

ـ ليس إلا قدومكما ، المعلومات نرسلها إليكم عبر فضاء السايبر أولاً فأولاً ..

ـ سنحتاج لإلقاء نظرة على مسرح الجريمة ..

ـ بالتأكيد ، كن ضيفى ..

التفت (عمر) إلى (دينا) وقال :

ـ لا أعتقد أنك ستحبين هذا الأمر ، يمكنك أن تنتظرينى فى أى مكان حتى ..

فوجئ بها تقول :

ـ سآتى معك ..

وجم للحظة ، ثم :

ـ لكن ، يمكننى أن ..

كانت قد حسمت أمرها :

ـ أنا مكلفة من قبل المكتب ، سأصحبك إذن بشكل رسمى ..

ـ لم أقصد ، يمكنك هذا بالطبع ..

ـ تفضلا خلفى ..

قالها (شاهين) ثم تقدمهما نحو الباب المؤدى للسلالم ، وإذ عبره الثلاثة كانت (كارلا روبرتس) هناك تقف مع مصورها ..

- فى انتظار أخبار جديدة ..

هتفت بها فى لهجتها الأمريكية البينة ، فرفع (شاهين) كفه فى وجهها هاتفًا بنفس اللغة واللهجة المستمدة من الثقافة الأمريكية المنتشرة فى كل ركن من بقاع الأرض :

- لا توجد معلومات صحفية متاحة الآن ، ابتعدى من فضلك يا سيدتى ..

هم بمواصلة السير نحو السلالم الهابطة ، حيث يقف عدد من رجال الأمن فى حللهم الزرقاء المميزة ، قبل أن تعقد (كارلا) حاجبيها الرفيعين وهى تنظر نحو (عمر) السائر خلفه ، وألف فكرة وفكرة تجول فى خاطره ..

- انتظر لحظة أيها السيد ، أعتقد أننا تقابلنا من قبل .

هتفت بها (كارلا) فجأة ، فأفاق (عمر) ناظرًا نحوها ، وللحظة شعر بالحيرة وهى تنهال عليه بالمزيد :

- .. نعم ، تذكرت .. (ريتشموند) فى (لندن) ؛ و(قبرص) فى حادثة اختطاف الطائرة المصرية .. أنت المصرى الغامض الذى يظهر ويختفى دون أن نعلم عنه شيئًا !

فكّر فى تجاهلها ، لكن الفكرة لم تجد صدى مقبولاً فى عقله ، و(كارلا) تنهال بالمزيد والمزيد من الهتاف والحماسة والـ.... :

- .. أنت تعمل مع السلطات المصرية كما خمنت ، لكن أى جهة ترى ؟! المخابرات ؟! أمن الدولة ؟! الشرطة ؟! الجيش ؟!

نظر (عمر) نحو (دينا) ، وعندما لمح القلق يطل من عينيها فيضانًا كاسحًا بدأ فى تنفيذ ما هدته إليه قريحته على الفور :

- سيد (شاهين) ..

التفت إليه (شاهين) فى تساؤل ، فأشار (عمر) نحو (كارلا) ومصاحبها هاتفًا بلهجة آمرة فى صرامة ، وبلغة عربية :

- .. احتجزهما فى غرفة خاصة ، واجعل على الباب حراسة مشددة ..

تحجرت عينا (كارلا) فى محجريهما وهى تقف عاجزة عن إدراك ما قيل ، لكن الطريقة الجافة التى تحدث بها (عمر) ، والإيماءة التى قابل بها (شاهين) عباراته ، وطرقعة الأخير بإصبعيه لرجلين من رجاله المتراصين أسفل السلم مع عبارة أخرى غامضة بالعربية ، ثم إسراع هذين الرجلين نحوها هى والمصور ليمسكا بهما من ذراعيهما ، كل هذا لم يكن يحمل الكثير من المعانى ..

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا ستفعلون بنا ؟!

هتفت بها فى جزع ، وفوجئت بـ (عمر) يحدثها بإنجليزية طليقة قائلاً فى نبرة هادئة :

ـ لا شىء ، ستكونين ضيفتنا يا سيدتى لبعض الوقت ..

صرخت والجزع يمتد إلى ملامح رفيقها المصور :

ـ هذا غير ممكن .. هذا انتهاك لحقوقى كصحفية وكمواطنة أمريكية .. إننى ..

قاطعها بأسلوب ألجم لسانها :

ـ لن يطول الأمر ، وعندما نفرغ منه أعدك بانفراد من النوع الثقيل ..

حدقت فى ملامحـ ـظات ، وهى تزن الأمر فى عقلها ، قبل أن يردف هو بما لم يدع مجالاً مفتوحًا للنقاش :

ـ .. اتفقنا ؟!

لم تقو على الرد ، لكن صمتها قال كل شىء ..

(*) راجع المغامرتين رقم (٦) و(٨) .. (عملية الداهية) و(عملية شبكة العنكبوت) ..

* * *

ـ المراسل من هؤلاء قد يدفع عمره فى مقابل انفراد لمحطته أو جريدته !

قالها (عمر) وهو يدلف إلى حجرة الدكتور (إسماعيل) متجاوزًا جنديى الحراسة أمام الباب ، وخلفه (دينا) الصامتة ، ثم (شاهين) الذى قال :

ـ وهل ستمنحها إياه حقًّا ؟!

هز (عمر) كتفيه وهو يقف أمام ملاءة مبقعة باللون الأحمر تغطى جسمًا :

ـ المهم أن نحصل نحن عليه أولاً !

ـ هذه هى الجثة ..

أشار (شاهين) إلى الملاءة وهو يقولها ، فدنا منها (عمر) وجثا على ركبتيه قبل أن يرفع عنها الغطاء بسرعة ..

أغلقت (دينا) عينيها فى قوة مستبشعة المنظر ، وجاهدت لكى تكتم رغبتها فى القىء ولكى تتغلب على شعورها الفظيع بالغثيان القاتل ..

أعاد (عمر) الغطاء متنهدًا وهو يغمغم :

ـ رحمه الله ..

وتمتم بأشياء غير مسموعة قبل أن يلتفت نحو بـاب المرحاض الصغير فيشير إليه بقوله :

ـ الرصاصة أتت من هذا الاتجاه كما يشير موضع القتيل ..

والتفت مشيرًا إلى بقع الدم الصغيرة التى تلطـخ سطح المرآة خلف الجثة :

ـ .. ويؤكد هذا اتجاه تناثر الدمـاء من موضع خروج الرصاصة ..

قال (شاهين) فى إعجاب :

ـ رائع ، هذا ما قدرته الشرطة والنيابة أيضًا ..

رفعت (دينا) من بين أكوام الفوضى صورة فوتوغرافيـة للدكتور (إسماعيل) وبجواره امرأة محجبـة وهنـاك فتاتـان صغيرتان تضحكان أسفل منهما ، فرقت ملامحها قليلاً وهـى تغمغم فى أسى :

ـ هذه زوجته وابنتاه بلا ريب ، المسكينات !

لوح (عمر) بذراعيه نحوها وهو يهتف محذرًا :

ـ لاتلمسى شيئًا ، فالبصمات يمكن أنْ تفسد بهذه الطريقة ..

شعرت بالحيرة والذنب المفـاجئ ، وكـادت تعيد الصـورة إلى موضعها عندما قال (شاهين) مهونًا :

ـ لا عليك يا عزيزتى ، إن رجـال المعمل الجنائى قد نبشـوا المكان بحثًا عن بصمة واحدة مختلفة عن بصمات الدكتور ، ولم يجدوا شيئًا البتة ..

هرش (عمر) فى رأسه الحليق وهو يسأل فى شىء من الحرج :

ـ بهذه السرعة ؟!

قال (شاهين) :

ـ خطورة الحادث استدعت التحرك بأقصى سرعة ، المؤتمر كله مهدد بالإلغاء الآن فى ظل ما حدث ..

اتجهت (دينا) إلى السرير القريب لتفتح جهاز الحاسب النقال الماثل فوقه بين حاجيات أخرى كثيرة بينما (شاهين) يتنهد متمتمًا فى وجل عميق :

ـ .. هذا الحادث كفيل بإطاحة الطاقم الأمنـى للفنـدق كـاملاً ، بمن فيهم أنا !

قال (عمر) فى محاولة للتهوين ، وعقله مازال يعمل ويعمل :

ـ ليس إن أعدنا الأمور إلى نصابها بالسرعة المطلوبة ..

ـ أى أمور تعنى ؟!

ـ أعنى أن نعيد التصميمات ونعرف القاتل ..

فى مرارة قال (شاهين) :

ـ ليس الأمر بهذه السهولة ، إننا نتحدث عن مسدس تسرب إلى الفندق ليلقى أحد النزلاء مصرعه بواسطته ، أتدرك حجم الكارثة ؟! ألا تظن أنه يحق للإدارة أن تقدم كبش فداء أو ربما قطيعًا كاملاً من الكباش لتهدئة الرأى العام على الأقل ؟!

سأله (عمر) فى اهتمام وقد أثار له القول بقعة ضوء :

ـ بالمناسبة ، هل عثرتم على سلاح الجريمة ؟!

هز (شاهين) رأسه بالإيجاب وهو يقول :

ـ أجل ..

ـ داخل الغرفة أم خارجها ؟!

ـ خارجها ، وفى أغرب مكان يمكن أن نعثر فيه على شىء كهذا ..

ثم قال موضحًا :

ـ سلة المهملات الخاصة بالطابق !

ردد (عمر) وراءه فى دهشة :

ـ سلة المهملات ؟!

استطرد (شاهين) بعد إيماءة أخرى إيجابية :

ـ مسدس شخصى صغير من طراز (سميث) مزود بكاتم الصوت ، خزانته لم يكن ينقصها إلا رصاصة واحدة ، هى التى استخدمت فى القتل ، خاصة مع آثار إطلاق الرصاص الحديثة الواضحة على ماسورته الداخلية ، والتى يجيد الكشف عنها أى مبتدئ فى البحث الجنائى ..

سأله (عمر) فى حذر :

ـ ماذا عن .. البصمات ؟!

نصف زفرة تهكم ، قال بعدها (شاهين) :

ـ ماذا تتوقع ؟! لقد وجدنا مع المسدس زوجًا من القفازات المطاطية المستخدمة فى العمليات الجراحية !

عاد (عمر) يهرش فى رأسه قبل أن يقول مضيقًا عينيه :

ـ ربما يضيق وجود المسدس قريبًا إلى هذا الحد من دائرة الشبهات ..

أشاح (شاهين) بذراعه :

ـ وربما لا يضيق ، ربما وربما وربما !

(عمر) يهرش ويقول مفكرًا بصوت عال ، يحاول استخلاص جدوى من خضم أفكاره :

ـ ماذا لو فكرنا فى طريقة دخول القاتل إلى الحجرة دون عنف !

ـ ماذا تقصد ؟!

سأله (شاهين) وقد انتقلت إليه عدوى الهرش فى الرأس بالإيحاء ، فأجاب (عمر) عن سؤاله بسؤال :

ـ أخبرنى ، من يقيم فى الغرف المجاورة لغرفة الدكتور هذه ؟!

سؤال بسؤال مرة أخرى :

ـ (عمر) ، هل لديك نظرية معينة !

ـ بل أشبه بفكرة بعيدة مهتزة الملامح ، أخبرنى و(ربما) تتضح أكثر !

ـ للأسف لا أتمتع بذاكرة خارقة تسمح بالاحتفاظ بأسماء النزلاء وأرقام غرفهم ! لكنى أعتقد أن سجلات الاستقبال يمكن أن تفيدنا فى هذا الأمر ..

أمسك (عمر) بسماعة الهاتف المجاورة للجثة فوق الأرض وناولها لـ (شاهين) قائلاً :

ـ أملنى رقم الاستقبال ..

وبعد مكالمة قصيرة كانت النتيجة :

ـ فى الغرفة المجاورة على اليمين تم تسكين عالِم هولندى يدعى (أنتونى فوكر) ، وفى الغرفة التى على اليسار هناك عالم إسرائيلى اسمه (دانى شمعون) ، وهما من ضيوف المؤتمر ، بالإضافة لغرفة فى المواجهة يسكنها سائحان برازيليان لا علاقة لهما بالمؤتمر ..

قال (عمر) وهو ينظر إلى ملامحه المجهدة فى المرآة عبر قطرات الدم :

ـ كنت أظن أن جميع النزلاء سوف يكونون ضيوفًا على المؤتمر ..

أعاد (شاهين) السماعة إلى موضعها وقال :

ـ إدارة المؤتمر حجزت الفندق بأكمله لمدة أربعة أيام بالفعل كأى إدارة محترمة ، لكن هذين السائحين مقيمان منذ فترة طويلة تسبق بداية المؤتمر ، بالمناسبة اسم الأول

(ماركوس) والثانى اسمه (باولو) ، وأعتقد أنى أتذكر رؤيتى لهما أكثر من مرة !

فكر (عمر) بصوت غير مسموع :

ـ رجلان ؟! هذا يعقد الأمور كثيرًا ..

وفكر بصوت مسموع :

ـ .. سأحتاج لرؤية هؤلاء جميعًا ..

ـ على مائدة الإفطار إذن ، إن الفجر قد انبلج فى الخارج ..

قالها (شاهين) قبل أن يسأل متفرسًا فى ملامح صديقه القديم :

ـ .. ألن تخبرنى عن نظريتك المهتزة الملامح ؟!

سؤال بسؤال مرة أخرى :

ـ أخبرنى يا (شاهين) ، أليس هناك مفتاح رئيسى يفتح كل أبواب غرف الفندق ؟!

أجاب (شاهين) وقد بوغت بالسؤال على ما يبدو :

ـ بالفعل ، فى جميع الفنادق الكبرى مفتاح كهذا ..

سؤال آخر :

ـ من يحتفظ بهذا المفتاح هنا فى فندقكم هذا ؟!

تعالى صوت (دينا) من جهة السرير قبل أن يجيب (شاهين) :

ـ عثرت على الرسالة الإلكترونية التى قدموا له فيها العرض إياه !

سأل (شاهين) مقطبًا :

ـ أى عرض ؟!

ودنا منها (عمر) قافزًا فوق الزحام المبعثر على الأرض ، وهتف متلهفًا :

ـ حقًا ، كان يخزنها على جهازه إذن ..

قالت وهى تشير إلى الشاشة :

ـ قل إنه لم يمسحها من متصفح بريده الإلكترونى ..

ونظرت إلى (شاهين) متابعة :

ـ .. أحتاج لوصلة إنترنت حتى أبرق بها إلى الإدارة على الفور ..

حاول (شاهين) التملص من أسر جمالها وهو يقول :

ـ بالطبع ، هناك وصلة هاتف خاص فى مكتبى لو تحبين ..

نهضت مغلقة جهازها ، قائلة :

ـ بالطبع أحب ..

اتجها للخارج ، فيما هتف (عمر) متذكرًا :

ـ لم تجبنى على سؤالى بعد يا (شاهين) ..

ثم مذكّرًا :

ـ .. المفتاح !

قال (شاهين) وقد اعتراه بعض الاضطراب :

ـ مسئول خدمة الغرف هو من يحمل المفتاح الرئيسى ، إنه عهدته الشخصية ..

قال (عمر) وهو يتجه معهما إلى الخارج :

ـ سأحتاج لرؤيته هو الآخر !

توقف (شاهين) عن السير ، وقال مقدمًا كلمة ومؤخرًا أخرى :

ـ أخشى أن .. هذا .. غير متاح .. حاليًا !

التفت إليه (عمر) عابسًا يسأله :

ـ ولِمَ ؟!

كانت إجابة (شاهين) مفاجأة صادمة :

ـ إنه مختفٍ تمامًا ، لم نعثر عليه منذ اكتشفنا جريمة القتل !

★ ★ ★

٤ـ من فعلها ؟!

ـ إنه بريد إلكترونى على مزود مجانى عادى ، لن نصل منه إلى الكثير !

قالها الدكتور (مؤنس) المرتسم على شاشة الحاسب الآلى النقال فى مكتب أمن الفندق ، قبل أن تقول (دينا) فى حماسة لم ترتسم على ملامحها :

ـ اسمح لى أن أختلف معك يا خالى العزيز ..

وفسرت نظريتها :

ـ .. يمكننا إذا اخترقنا المزود أن نحصل على عدد من المعلومات المتناثرة ، قد تساعدنا فى الاستدلال على هوية صاحبه أو مكان وجوده .. بهذه الطريقة تمكنت السلطات المختصة من القبض على مصممة وناشرة فيروس (الحب) الشهير لو ما زلت تذكر ..

سألها الدكتور (مؤنس) بعد لحظة تفكير :

ـ هل سيكون أمر كهذا صعبًا عليكِ ؟! المفترض أنك خبيرة تقنيات لا يشق لها غبار ..

قالت :

ـ ليس صعبًا ، لكن .. تنقصنى بعض البرمجيات الضرورية غير المتوافرة هاهنا ..

قال متفهمًا :

ـ ليكن ، سأرى ما يمكننا فعله بهذا الصدد ثم أعاود الاتصال بك ..

وانقطع الاتصال بينهما ، فالتفتت (دينا) إلى (عمر) الجالس خلف مكتب (شاهين) يقلب فى أوراق ملف ، بينما الأخير يدخن سيجارة خانقة الرائحة على مقعد أمامه ..

قال (عمر) وهو يعبر بعينيه فوق السطور فى سرعة :

ـ مسئول خدمة الغرف شاب عادى لا يثير الشك ، وملفه نظيف مثل قلب المؤمن ..

قال (شاهين) نافثًا دخان سيجارته :

ـ لا تثق بكل من يبدو بريئًا يا عزيزى ..

أغلق (عمر) الملف ووضعه فوق المكتب ، قبل أن يقول معتدلاً فى جلسته :

ـ أرجّح أنه اختطف أو قُتل بغرض سرقة المفتاح الرئيسى ،

فسماته الشخصية المذكورة فى الملف لاتؤهله للقتل والهرب بهذه السرعة والبراعة الاحترافية التى نراها ..

نفث (شاهين) نفسًا آخر :

ـ وربما تم تدريبه جيدًا ..

ـ ماذا عن غرفته ؟!

سأله (عمر) ..

ـ .. هل عثرتم فى داخلها على ما قد يريب ؟!

ـ لاشىء البتة ، لانقود ولا أسلحة ولا أى مايثير الشكوك .. نظيفة كقلب المؤمن كما قلت ، ولكن أنت تعلم أن هذا يمكن التدريب عليه أيضًا ..

نظر (عمر) فى ساعة معصمه التى تقترب من السابعة صباحًا ، وفرك عينيه المرهقتين قبل أن يقول :

ـ سنحتاج إلى تفتيش جميع غرف الفندق ..

ـ سنحتاج إذن نيابة ..

قالها (شاهين) هازًا كتفيه وهو يطفئ سيجارته فى المطفأة أمامه ، فقال (عمر) وهو يضرب قبضتيه ببعضهما مفكرًا :

ـ الانتظار ليس فى صالح أحد ، ليتم هذا بصورة غير رسمية ريثما نستكمل الشكليات ..

هز (شاهين) كتفيه مرة أخرى :

ـ ليكن ، مادام هذا سيتم على مسئوليتك الشخصية ..

أشار له (عمر) إشارة ذات مغزى :

ـ ابدأ بالغرف المجاورة لغرفة القتيل ..

ـ هو كذلك ..

قالها (شاهين) وهو يضرب فخذيه براحتيه ثم ينهض غامزًا :

ـ .. سأصدر الأمر ثم ألحق بك فى المطعم ..

ربما كان (عمر) يمنى نفسه ببعض الراحة قبل استكمال العمل ، وربما هذا ما جعله يمط شفتيه ويومئ برأسه قائلاً فى تثاقل :

ـ نعم .. ستجدنى هناك ..

غادر (شاهين) الغرفة ، ونظر (عمر) إلى (دينا) فوجدها مستغرقة فى تأمل شىء ما ..

شىء ما فوق المكتب ..

بالتحديد برواز خزفى تبرز منه صورة ..

ـ ماذا هناك ؟!

سألها مستفهمًا ، فقلبت البرواز ناحيته :

ـ انظر ..

صورة لطفل فى نهاية العقد الأولَ من العمر ، شعره ناعم مُنسدل فوق جبهته ، وملامحه يعتريها سمت غريب ومميز ، وجه مستدير وعينان ضيقتان وشفتان غليظتان وأنف أفطس ونظرة شاردة ..

ـ .. من هذا ؟!

أشارت لمربع ورقى صغير فى الزاوية اليمنى السفلية ، فاقترب محدقًا أكثر ..

(سمير شاهين مختار) هو الاسم ، وأسفله تاريخ الميلاد ..

هز (عمر) رأسه وقد ظن أنه فهم ، قبل أن يرفع رأسه نحو (دينا) فيرى فى عينيها ما عجز تمامًا عن فهمه ، خاصةً أنها من المرات النادرة التى كانت تبتسم فيها ..

★ ★ ★

أشرقت الشمس الدافئة تمهيدًا ليوم مفعم بالسخونة ..

قبال (أنتونى فوكر) من جلسته على أريكة بهو الفندق

الوثيرة ، وأمامه (عمر) بعينين حمراوين ، وأمام كل منهما فنجان قهوة :

ـ لقد انتحر ، أراهن على هذا ..

نطق بها بكل صلف وتجاهل ، كأن الموت لم يؤلمه ولو مقدار شعرة ..

ـ ماذا وراء ثقتك الهائلة هذه ، سيد (فوكر) ؟!

قال :

ـ الحفاظ على الكبرياء العلمى !

رشف (عمر) من فنجانه ، وهز رأسه فى قوة ليستمد بعض اليقظة قبل أن يقول :

ـ لست أفهم !

ـ عندما يجد العالم نفسه متورطًا فى كذبة كبرى ، هو من مهد لها وأكدها ، يكون أهون عليه أن ينتحر ويظن الناس أن اختراعه قد سرق ، من أن يقف أمام الجماهير معتذرًا عن مزحته السخيفة ..

ـ أنت ترى أن فى الأمر إذن مزحة يا سيدى ؟!

ـ بالتأكيد ..

ورفع ساقًا فوق أخرى :

ـ .. مزحة سخيفة تقوم على هراء علمى وهرطقة هندسية !

قال (عمر) مجاهدًا لإخفاء استيائه من عجرفة محدثه :

ـ وبهذا أنت تنفى وقوع جريمة قتل من الأساس أيضًا ؟!

هتف (فوكر) فى عصبية :

ـ هذا عملكم لا عملى ..

سأله (عمر) مباشرة :

ـ هل كانت علاقتك بالقتيل طيبة ، دكتور (فوكر) ؟!

توترت أصابع (فوكر) القابضة على فنجان القهوة حتى كاد السائل البنى ينسكب خارج الحواف الدائرية ، وقال مرتجفًا :

ـ ماذا تعنى أيها السيد المحترم ؟!

واصل (عمر) هجومه المباشر :

ـ أعنى ما فهمته يا سيدى .. هل كانت علاقتك بالدكتور (إسماعيل) جيدة طوال الفترة المنصرمة من المؤتمر ؟!

أعاد (فوكر) الفنجان إلى طبقه الصغير فوق المنضدة بصعوبة ، وقال :

ـ لم أقابله إلا ..

وازدرد لعابه بصعوبة ..

ـ .. بالأمس فقط ..

واصل (عمر) هجومه المباشر :

ـ من الممكن أن تكون على معرفة به قبلها بكثير !

خفف (فوكر) من وطأة ربطة العنق حول رقبته ، وبدأ العرق يرشح على جبهته وصدغيه ، بينما الرجفة تشمل جسده كله ، وهو يقول بجهد جهيد :

ـ من الـ .. الأبـ .. الأبحاث والأورا .. الأوراق العلمية !

واصل (عمر) هجومه المباشر :

ـ فقط ؟!

قالها غامزًا وقد ظن (فوكر) ينهار أمامه ، إيذانًا بنهاية القضية ، وكاد (فوكر) ينهار بالفعل ؛ إذ كان ينتفض وهو يقول :

ـ فـ .. ـقـ !!!

لكنه سقط من فوق الأريكة قبل أن يقولها وهو ينتفض بعنف وقوة دون توقف ، بينما أسقط فى يد (عمر) ..

أسقط فى يده تمامًا !

★ ★ ★

ـ نوبة صرع ؟!

هتف بها (عمر) فى دهشة وهو يسير إلى جوار (شاهين) نحو مطعم الفندق ، فأومأ الأخير برأسه أن نعم قبل أن يقول :

ـ أجل ، إنه مصاب بالصرع منذ طفولته والنوبات تداهمه على فترات متباعدة ، بالذات عند تعرضه للضغط العصبى غير المحتمل ؛ هذا ما ذكره لى مرافقوه ..

وابتسم سائلاً :

ـ .. ما الذى فعلته بالرجل يا (عمر) ؟!

تجاهل (عمر) السؤال ، وسأل بدوره فى قلق :

ـ هل هو بخير الآن ؟!

أجابه (شاهين) :

ـ لحسن الحظ تمت السيطرة على حالته ، إدارة المؤتمر عينت طبيبًا ممارسًا لحالات الطوارئ مثل هذه ، وبأمبول (فاليوم) واحد انقضت النوبة على خير ، إن (فوكر) نائم الآن مثل طفل !

زفر (عمر) فى راحة نسبية ، قبل أن يقول والجًا عبر بوابة المطعم الخشبية الضخمة :

ـ الحمد لله .. أعتقد أن هذا يبعده قليلاً عن دائرة الشبهات !

لوح (شاهين) بسبابته محذرًا :

ـ سأذكرك مرة أخرى بألا تنخدع بأى شىء ، الكل متهم حتى يثبت العكس ..

وأشار بطرف يده إلى منضدتين متجاورتين ، قائلاً وهو يخفض من نبرة صوته عمدًا :

ـ .. هناك على اليمين يجلس السائحان البرازيليان (ماركوس) و(باولو) .. الأول هو صاحب الشعر الذهبى الطويل ، والثانى هو صاحب الشعر البنى المحلوق من الأسفل على طراز (المارينز) .. وهناك على منضدة اليسار (دانى شمعون) البروفسير الإسرائيلى القصير الذى يجلس وحيدًا يلتهم إفطاره ..

غمغم (عمر) لنفسه بعد إذ تنهد :

ـ أتمنى ألا يكون أى منهم مريضًا بداء عضال هو الآخر !

والتفت إلى (شاهين) سائلاً قبل أن ينسى :

ـ .. ماذا عن أنباء تفتيش الغرف ؟!

همس (شاهين) :

ـ كلفت اثنين من رجالى بتفتيش الغرف الثلاث المسكونة المجاورة لغرفة القتيل ، وسأصعد الآن لأعرف الأنباء بنفسى ..

وسأل (عمر) مرة أخرى قبل أن ينسى :

ـ و(دينا) ؟!

غمزه (شاهين) :

ـ زميلتك الحسناء ؟! يا لك من محظوظ !

ثم أجاب عندما لمح التجاهل على وجه صديقه :

ـ .. إنها مدنية غير معتادة على العمل الشاق ، وقد أخلينا لها غرفة حتى ترتاح فيها قليلاً ..

غمغم (عمر) وهو يربت على كتف (شاهين) فى امتنان :

ـ هذا جيد ، اذهب أنت الآن إلى أعلى ، ولا تتأخر ..

ـ حظًا سعيدًا ..

وابتعد ..

ـ صباح الخير ..

زوج من العيون الملونة ، خبز محمص وبيض مقلى وزبد ومربى وقدحا شاى .. وجبة إفطار الفنادق العالمية (الكونتيننتال) يتناولها سائحان برازيليان ..

ـ نعم يا سيدى ؟!

سأل الطويل العريض المنكبين ذو الشعر الذهبى الخفيف المجعد المنسدل على كتفيه ، الذى تتدلى على صدره ـ من بين ياقتى قميصه المفتوح حتى الصدر ـ قلادة من الخرز ..

ـ هل هناك خطأ ما ؟!

سأل الربعة الخمرى البشرة ذو الشعر البنى المحلوق من أسفل على طراز (المارينز) ، الذى يبرز وشم الثعبان على كتفه الأيسر عبر قميصه المنزوع الأكمام ..

قال (عمر) وهو يجذب المقعد الثالث حول المنضدة ويجلس دون استئذان :

ـ كنا نريد التحدث قليلاً بشأن حادث القتل الذى وقع أمس ..

سأله ذو الشعر الطويل ؛ (ماركوس) :

ـ ومن تكون ؟!

قال (عمر) :

ـ أمن مصرى ..

سأله ذو شعر المارينز ؛ (باولو) :

ـ وما علاقتنا بقصة مثل هذه ؟!

قال (عمر) مشيرًا إليهما :

ـ أنتما من نزلاء الفندق الذى وقع فيه الحادث ..

قال (ماركوس) وهو يدهن قطعة من الخبز بالزبدة والمربى :

ـ لكننا لم نر شيئًا ..

ثم قال (باولو) :

ـ ولم نكن من ضيوف المؤتمر بأى حال !

قال (عمر) مستندًا بمرفقيه على سطح الطاولة المتسخ :

ـ أعلم ، لكنها مجرد دردشة ، ربما تذكرتما شيئًا وقع بالأمس .. أى شىء مهما كان بسيطًا وضئيلاً يمكن أن يكون له فائدة عظمى فى إرشادنا للجانى ..

قال (باولو) راشفًا شايه :

ـ نعم ، لكننا لم نكن فى غرفتنا ليلة أمس !

قطب (عمر) .. قال :

ـ أين كنتما إذن ؟!

قال (ماركوس) وهو يقضم من خبزه المحمص :

ـ كنا فى رحلة (سافارى) فى الصحراء ، قضينا الليلة بأسرها هناك وعدنا قبل الفجر ..

قطب (عمر) أكثر .. سأل :

ـ وهل لديكما ؟!

قاطعه (باولو) وهو يمد يده فى حقيبة قماشية صغيرة مستقرة على كتفه :

ـ يمكننى أن أريك الصور التى التقطناها والتقطها البدو لنا هناك .. إنها رائعة !

ثم أخرج يده نحوه بمظروف أبيض ، تناوله (عمر) وهو يغمغم فى محاولة لفهم المسألة :

ـ صور ؟!

قال (ماركوس) وهو يقضم قطعة أخرى من خبز المربى المحمص :

ـ فورية ، إن الكاميرات الحديثة ساحرة حقًا ..

نظر (عمر) إلى الصور ، قلبها بين يديه ..

احتفال فى ليل الصحراء بين الرمال والجبال والصخور والنباتات القليلة ، نيران موقدة فى قلب حلقة خيام احتفالية ، طعام يشوى ، رجال يرقصون ، و(ماركوس) و(باولو) يظهران فى أغلب الصور مبتسمين وسط وجوه كثيرة ، أو وحدهما فى سيارة جيب قديمة خضراء اللون ..

التاريخ أسفل الصور واضح لا لبس فيه ، تاريخ اليوم ..

دليل دامغ على البراءة ..

(شاهين) يقول : الكل متهم حتى يثبت العكس ..

وكان هو يفكر : هل من الصعب تزوير أشياء كهذه ؟!

يحتاج الأمر إلى وقت للتأكد من هذه النقطة ..

ـ متى سترحلان ؟!

سألهما مواصلاً التقليب فى الصور ، فقال (باولو) :

ـ المفترض أن نغادر اليوم إلى (دهب) ..

واستدرك (ماركوس) :

ـ لكن فى ظل الظروف الراهنة يمكننا أن نبقى قليلاً ..

أعاد إليهما الصور فى المظروف ، وهو يفكر : لم يبق إلا ...

ـ نعم ، أنا البروفسير (دانى شمعون) أستاذ كرسى فى كلية العلوم جامعة (تل أبيب) ، متخصص فى أبحاث الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية ..

جلس (عمر) أمامه وهو يقول :

ـ لن آخذ من وقتك الكثير يا سيدى ..

نحى الرجل جريدة (الأخبار) التى كان يطالعها ، وهو يعدل من نظارته قائلاً :

ـ ومن تكون ؟!

شبك (عمر) كفيه على المنضدة وهو يقول :

ـ من الأمن المصرى ..

ضيّق (شمعون) عينيه سائلاً :

ـ وفيم يريد واحد من الأمن المصرى أن يأخذ وقتى ؟!

ـ فى شأن مصرع الدكتور (إسماعيل) منذ ساعات ..

قال (شمعون) فى سرعة من يريد إنهاء الحوار قبل حتى أن يبدأ :

- حادث مؤسف حقًا ، تعازينا ..

وكاد يعود لقراءة الجريدة قبل أن يستوقفه (عمر) :

- هل لديك أى معلومات عما تم يا بروفسير ؟!

وجم (شمعون) للحظة ، قبل أن يسأل بنفس الوجوم :

- معلومات من أى نوع ؟!

لوح (عمر) بكفيه :

- أية معلومات ..

- أشم فى عباراتك رائحة لا أحبها ..

- كلماتى لا تحتمل أكثر من معناها ..

- ليست لدى أية معلومات تزيد على ما يعرفه أى شخص آخر .. كل معلوماتى عن القتيل استقيتها من كتبه وأبحاثه وظهوره المتكرر فى وسائل الإعلام ؛ ولم أقابله شخصيًا إلا بالأمس فقط لنتبادل عبارات مجاملة قصيرة !

- أنت أيضًا ؟!

- كان معى البروفسير الهولندى (أنتونى فوكر) .. يمكنك أن تسأله !

- ولم تر أو تسمع أى شىء مثير للشك أو الاهتمام طوال ليلة أمس ؟!

- كلا ، فلم أصعد غرفتى منذ وقتها !

نظر إليه (عمر) مليًا ، مما دعاه للتفسير :

- .. لست من هواة النوم الباكر ، ولا أنام فى المعتاد قبل شروق الشمس !

- ألا يتعارض هذا مع حضورك لجدول أعمال المؤتمر ؟!

- أنا أجيد تنظيم وقتى ..

- وأين قضيت ليلتك ؟!

صمت طويل ، ثم ..

- هذا ليس من شأنك !

قالها (شمعون) فى أنفة ، فوجدها (عمر) اللحظة المناسبة للقصف المكثف :

- لكنه سؤال مهم جدًا أعتقد أنك يجب أن تجيب عنه !

نظر إليه (شمعون) من خلف نظارته في اكفهرار وقد انقلبت شفتاه، فتابع (عمر) بعد أن وجد المزيد من الصمت جوابًا :

ـ .. سيوجه إليك السؤال بصفة رسمية فيما بعد، هو كفيل بتحويلك من خانة الاتهام إلى خانة الشهادة أو البراءة !

هتف (شمعون) فى انزعاج :

ـ لست متهمًا بشىء ..

قال (عمر) فى هدوء مستفز :

ـ بل أنت أول المتهمين !

ـ ماذا تقول ؟!

ـ جنسيتك هى التى تقول !

وتابع (عمر) بنفس الاستفزاز الهادئ :

ـ .. تاريخكم ملطخ بدماء علمائنا لو تعلم !

صاح فيه (شمعون) كالقنبلة :

ـ أى علماء ؟! ما أنتم إلا حفنة من الهمج الصحراويين يلبسون قشرة الحضارة !

هدوء واستفزاز :

ـ موقفك يزداد سوءًا يا سيدى !

عاد (شمعون) يصيح :

ـ اذهب إلى الجحيم !

عندها دخل (شاهين) وعلى ملامحه بشر، فى نفس اللحظة التى غادر فيها البرازيليان مكانهما على مائدة الإفطار ..

ـ (عمر) .. وجدنا الحقيبة !

هتف (عمر) وهو ينتفض ناهضًا من جلسته أمام الإسرائيلى :

ـ حقيبة تصميمات (نيل ٧) ؟!

هز (شاهين) رأسه بالإيجاب ..

ـ أين ؟!

سأل (عمر) وخلاياه تصرخ باللهفة، فالتفت (شاهين) إلى الإسرائيلى فى مقت مشيرًا إليه بسبابته قائلاً :

ـ فى غرفة هذا الرجل ..

وامتقع وجه (شمعون) حتى حاكى ليمونة معصورة عن آخرها !

★ ★ ★

٥ـ الخدعة ..

ـ خالية ؟!

ندت الكلمة عن اللواء (عفت حفنى) عبر شاشة التحدث على جهاز الحاسب الآلى النقال ، حاملة دهشة وتساؤلاً واستنكارًا ..

هز (عمر) رأسه وهو يقول :

ـ أجل يا سيادة اللواء ، خالية تمامًا كقبر منبوش ..

سأل اللواء فى غضب :

ـ أين ذهب هذا الإسرائيلى الملعون بالتصميمات إذن ؟!

قال (عمر) مغالبًا الإجهاد العنيف الذى يشعر به :

ـ إنه ينكر سرقتها أصلاً ، ويطالب بتدخل سفارته فى الأمر !

قال اللواء دون أن يقل غضبه أنملة :

ـ دعك منه ، واعمل على ترحيله إلينا فى (القاهرة) بأقصى سرعة حتى نستجوبه بمعرفتنا .. ذلك الـ ..

قال (عمر) فاركًا عينيه :

ـ سيكون عندكم فى أقرب وقت عبر المروحية التى أقلتنا إلى هنا ، لقد انطلقت منذ دقائق ..

قطب اللواء (حفنى) وهو يسأله :

ـ ولماذا لم تعد مع رفيقتك على نفس الطائرة ؟!

قالت (دينا) بنبرة من نام قليلاً وصحا متضايقًا :

ـ هذا ما اقترحته بالفعل !

قال (عمر) :

ـ ليس قبل أن نملأ الفراغات الناقصة ، فالقضية ما زالت تحوى الكثير منها ..

سألته (دينا) واللواء (حفنى) يتابعها عبر الشاشة :

ـ تقصد التصميمات التى ما زالت ضائعة ؟!

ـ ليس هذا فحسب ، هناك أيضًا مسئول خدمة الغرف المختفى ، ومهمة تفتيش بقية الغرف فى الفندق ، ونتائج فحص البصمات فوق الحقيبة وداخل غرفة الإسرائيلى ..

قالها (عمر) وهو يعد على أصابعه ، فقال اللواء (حفنى) فى لهجة أبوية تتراوح ما بين الشدة واللين :

ـ وهل ستفعل كل هذا وأنت على هذه الحال المزرية من فقدان الوعى ؟!

قال (عمر) وهو يغتصب بسمة شاحبة فوق شفتيه :

ـ أستطيع التماسك لفترة أخرى ..

قالت (دينا) فى جديتها الخالدة :

ـ أعتقد أن علينا الحصول على قسط من الراحة قبل معاودة النشاط ..

هتف بها (عمر) مكابرًا :

ـ يمكنك أن تنالى ما تشائين من الراحة ..

ـ وأنت ؟!

سألته ، فأجاب :

ـ مازال أمامى عمل كثير ..

قال اللواء (حفنى) :

ـ وأنا آمرك بأن تنال ساعتين على الأقل من الراحة قبل أن تستكمل عملك ..

عاد (عمر) يكابر ويهتف :

ـ لكن يا سيادة اللواء ..

ـ الأمور ستسير فى مجراها الطبيعى ولن تعطل راحتك شيئًا منها ..

قالها اللواء قبل أن يفصل :

ـ .. تفتيش الغرف بحثًا عن التصميمات سيتم بصورة رسمية وسريعة ومنتظمة ، البحث عن مسئول الغرف جار على كافة المستويات ، ورفع البصمات عن الحقيبة يجرى أيضًا وأنت تعلم أن هذا سيستغرق وقتًا ..

سألت (دينا) فى جملة اعتراضية :

ـ ماذا عن مزود البريد الإلكترونى المجانى الذى أوصيت باختراقه ؟!

أجابها ناظرًا فى أشياء بجواره خارج نطاق رؤيتها :

ـ العمل جار فى قسم التقنيات على قدم وساق ..

ـ هذا مطمئن ..

قالتها ثم التفتت إلى (عمر) :

ـ .. والآن ؟!

تنهد قبل أن يرفع عينيه إليهما ويقول :

ـ ليكن ، لكن هناك شىء لا بد من فعله قبل الراحة !

سألته :

ـ أى شىء هذا ؟!

وقرأت على صفحة وجهه بسمة غامضة ..

★ ★ ★

برقت عينا (كارلا روبرتس) وهى تهتف فى ظفر :

ـ إنه البروفسير الإسرائيلى إذن ..

وطرقعت بإصبعيها فى جذل :

ـ .. هذا ما أسميه بالانفراد الحقيقى !

لوح (عمر) بسبابته فى وجهها محذرًا :

ـ الخبر ليس للنشر بالمناسبة !

صاحت فى استنكار :

ـ ماذا ؟!

استدرك :

ـ الآن على الأقل !

هتفت به :

ـ لكنك وعدتنى ..

ـ لنصبر حتى تشير التحقيقات إلى تورطه بالفعل !

ـ نصبر ؟!

قالتها مستنكفة ..

ـ .. هذا المصطلح هو أعدى أعداء الصحفى الحاذق ..

قال فى أداء تمثيلى متقن :

ـ أخشى عليكِ من المتاعب ..

استعادت عيناها البريق القوى وهى تقول :

ـ لا تخش شيئًا ، إن المتاعب هى اسمى الأوسط !

هز كتفيه ليقول فى النهاية مسلّمًا :

ـ كما تحبين !

وتبادل مع (شاهين) الواقف صامتًا نظرة ذات معنى ، بينما أسرعت (كارلا) توجه التعليمات إلى رجل الكاميرا المصاحب لها ، وقد استحالت إلى شعلة متوهجة من الحيوية والعنفوان ..

★ ★ ★

- الممنوع مرغوب !

قالها (عمر) سائرًا إلى جوار (شاهين) على حافة حمام السباحة الهادئ ، متأملاً فى ذهب الشمس المنعكس على صفحته الزرقاء ..

- معنى حديثك أنها لم تكن لتذيع الخبر بدون طلبك منها ألا تفعل ..

- ليس الأمر بهذه المباشرة ..

قالها (عمر) ثم فسّر :

- (كارلا) يهمها السبق فى جميع الأحوال ، لكنى أتحدث عن الآلة الإعلامية الجبارة التى تنتمى إليها ، والتى لا هم لها إلا تحسين وتلميع صورة هؤلاء القوم الذين يسيطرون عليهم بالأموال والمناصب وخلافه ..

سأله (شاهين) فى محاولة للفهم :

- تعنى أنهم سيمنعونها من إذاعة خبر كهذا ؟!

- بالضبط !

- لكنهم يستطيعون فعل ذلك الآن أيضًا ..

- صحيح أيضًا ..

قالها (عمر) قبل أن يستطرد شارحًا وجهة نظره :

- .. لكن العمل على زرع بذرة التمرد فى نفس (كارلا) جدير بأن يجعلها تستميت فى سبيل إذاعة هذا الخبر بأى وسيلة ، فإن استعصى عليها إقناع العاملين فى محيطها (فى . بى . سى . نيوز) فسوف تسعى لإذاعته أو نشره عبر أى وسيط إعلامى آخر !

فكر (شاهين) للحظة قبل أن يقول :

- معقول جدًا !

- وفى جميع الأحوال هى محاولة لن أخسر بارتكابها شيئًا ..

نظر إليه (شاهين) قائلاً فى تعاطف :

- ستخسر الكثير حقًا لو لم تنل قسطًا من النوم فى الحال ، إنك تذكرنى بـ (آل باتشينو) فى فيلم (أرق) !

ضحك (عمر) وقال :

- ليس إلى هذا الحد ، فى استطاعتى الصمود لكن أحدًا لا يصدقنى ..

- ولا رفيقتك الحسناء ؟!

تذكر (عمر) أمرًا فسأل صديقه القديم :

ـ صحيح ، لماذا لا أرى فى يدك خاتم زواج يا (شاهين) ؟!

قال (شاهين) فى بساطة :

ـ ربما لم أتزوج حتى الآن !!

عاد (عمر) يسأله :

ـ وصورة ابنك فى غرفة مكتبك ؟!

بدا (شاهين) وكأن حجرًا قد أصاب رأسه ، قبل أن يسأل وقد تلاشت بسمته :

ـ هل رأيتها ؟!

هز (عمر) كتفيه قبل أن يقول فى بساطة :

ـ لم أتلصص عليك .. أنت تضعها فى مكان بارز للغاية !

وأردف عندما قوبل بالصمت المرير :

ـ .. ملامحه لا تشبهك ، ربما يشبه أمه أكثر ..

غمغم (شاهين) والأسى غارق فى حروفه :

ـ أمه هجرته وهجرتنى !

فى هذه الأحوال تنتابك الحيرة ، الصمت تجاهل والكلام تدخل فى شئون خاصة جدًا قد تكون محرجة أو حزينة ..

تبًا لألسنة الناس !

ـ .. وبخصوص التشابه ، فهو لا يشبهنى ولا يشبهها ..

الجمود مرآة مصقولة عكست وجه (عمر) ..

ـ إنه مغولى !

يا للمأساة ..

كروموسوم جسدى زائد فى كل خلية وتكون النتيجة طفلاً معاقًا ذهنيًا له ملامح مميزة ، كيف لم تنصفك فراستك الأبدية أيها الـ (عمر زهران) الأحمق ؟!

ـ .. (سمير) يقضى طفولته بين جدران مدرسة خاصة لأمثاله ..

هذا الرجل بركان يغلى بالحزن والفواجع ، ومع هذا فهو ما زال قادرًا على الحياة ، هكذا فكر (عمر) وقد تعاطفت كل ذرة منه مع هذا الرجل ..

كاد يرفع يده ليربت على كتفه فى مشاركة وجدانية ..

هم بفتح فمه لينطق بكلمة تخفيف وتشجيع ..

فكر فى ألف طريقة يمد بها يد العون النفسى لهذا الإنسان النادر ..

عندما أزت الرصاصة ..

أزيز مكتوم دلالة إطلاقها عبر كاتم الصوت ومرورها قريبًا جدًا منهما ، ثم إصابتها للأرض الزلقة بجوارهما ..

ـ ما هذا ؟!

هتف بها (شاهين) وقد توترت عضلات جسمه كلها تقريبًا ، فى حين استدار (عمر) بعينيه عاليًا ليلمح ذلك الانعكاس المضىء فى طابق علوى من الفندق ..

ـ هناك ، انظر يا (شاهين) ..

عندما نظر (شاهين) كان البريق قد اختفى ، وعندما عاود النظر إلى (عمر) كان الأخير يعد بعينيه الطوابق من أسفل لأعلى ، قبل أن يهرع راكضًا فى سرعة خارقة نحو مدخل الفندق ، وكأنه ليس هو من كاد يقتله الإرهاق منذ هنيهة قصيرة ..

لم يجد (شاهين) بدًا من الركض خلفه ومحاولة اللحاق بخطواته ، وعقله يفكر ، بينما شفتاه تدمدمان فى غضب :

ـ فعلوها الملاعين !

لحق بـ (عمر) قبل أن ينغلق عليه المصعد بلحظة واحدة ، وضغط كل منهما فى نفس الوقت زر الطابق الذى قتل فيه الدكتور (إسماعيل) ، فانغلق بابا المصعد عليهما فى نفس اللحظة التى انفتح فيها بابا المصعد الآخر المجاور لهما ، ليخرج منه سائحان برازيليان يحملان عددًا من الحقائب ، ويتجهان حثيثًا إلى خارج الفندق ..

فى داخل المصعد كان (شاهين) يقول :

ـ كانوا يحاولون قتلنا !

صحح له (عمر) وعيناه تلتهمان مؤشر الطوابق الضوئى :

ـ أو قتل أحدنا ..

قال (شاهين) مستنتجًا وصدره يعلو ويهبط :

ـ القاتل ما زال فى الفندق إذن ..

قال (عمر) وعيناه تكادان تقفزان من مكانهما فى تجويف جمجمته :

ـ وهو أحد المقيمين فيه غالبًا ..

وانفتح البابان أخيرًا ، ليهرع (عمر) خارجًا ومن خلفه (شاهين) ..

ـ لمن هذه الغرفة ؟!

أشار (عمر) إلى الباب الموصد الذى تطل نافذته ـ كما حسبها بسرعة ـ على حمام السباحة ، وأجابه (شاهين) على الفور :

ـ غرفة (ماركوس) و(باولو) !

طرقها (عمر) بقبضته مرارًا ، وشاركه (شاهين) متطوعًا ، ولكن ..

ما من مجيب !

ـ يمكننى أن أرسل فى طلب المفتاح الرئيسى ..

قالها (شاهين) فى توتر ، قبل أن يتراجع (عمر) قائلاً فى عزيمة :

ـ لن نحتاج إليه ..

واستل مسدسه ليطلق رصاصة واحدة على الرتاج الذى تحطم ..

ثم انفتح الباب ..

ـ لا صوت لأحد بالداخل ..

قالها (شاهين) فى توتر ، قبل أن يتقدم (عمر) قائلاً فى عزيمة :

ـ الهدوء يسبق أعتى العواصف ..

بحذر تقدم ..

تقدم بحذر ..

التقدم والحذر ..

و(شاهين) من خلفه يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ..

و ....

ـ لا أحد !

قالها (شاهين) وهو يبتلع ريقه بصوت مسموع ، وأمن (عمر) على كلامه وهو يتقدم خلف مسدسه المشهر فى تربص :

ـ لا أحد ..

المياه تنقط فى الحمام ، والصوت يتضح أكثر مع الاقتراب البطىء ..

الاقتراب الحذر ..

الاقتراب المتوتر ..

(شاهين) تابع الموقف بعينيه من وقفته فى منتصف الحجرة المرتبة فى اتساق وتنسيق ، كأن أحدًا لم يكن فيها ..

ثم دفع (عمر) باب الحمام بقدمه فجأة ، فانفتح بقوة ..

وكان المشهد بشعًا ..

ـ رباه ..

رجل فى حوض الاستحمام ..

ـ إنه ..

رجل غارق فى دمه ..

ـ مسئول ..

رجل جاحظ العينين بثقب رصاصة فى منتصف جبهته ..

ـ .. خدمة ..

رصاصة تم إطلاقها من مسافة قريبة للغاية فتشوهت الملامح وأصبحت عبثية ..

ـ الغرف !

رجل مسكين .. ضحية حرب لا ناقة له فيها ، ولا جمل ..

ـ قتلاه إذن ..

قالها (عمر) فى كراهية وهو يقبض على المسدس بقوة ، ويلتفت إلى (شاهين) سائلاً :

ـ أين هما ؟!

لم يجد (شاهين) ما يجيب به ، وأنقذه من حرج الموقف رنين هاتف (عمر) المحمول ..

ـ من ؟!

نطق بها (عمر) على الفور ، كأنه يريد إشعار محدثه بالذنب ..

ـ نقيب (عمر زهران) ؟! أنا الدكتور (مؤنس) من الإدارة ..

لم يفلح (عمر) فى مداراة هول مشاعره وهو يتحدث :

ـ مرحبًا يا دكتور ..

ـ (دينا) لا ترد على هاتفها ، لذا فكرت فى الاتصال بك ..

ـ هل أبلغها بشىء يا دكتور ؟!

ـ أبلغها أننا نجحنا فى اختراق عنوان البريد الإلكترونى الذى أتى منه عرض شراء تصميمات الدكتور (إسماعيل) ، وأن لدينا الآن بعض المعلومات الضئيلة ..

ـ مثل ماذا ؟!

ـ مثل أن هناك رسائل كثيرة فى صندوق الوارد تخاطب شخصًا يدعى (ماركوس) ، ومنها خطابات لشخص آخر اسمه (باولو) .. إنها أسماء مزدهرة فى (أمريكا اللاتينية) على ما أظن .. أليس صحيحًا هذا ، نقيب (عمر) ؟! آلو .. (عمر) .. آلو .. هل تسمعنى ؟! آلو .. آلو !!!

★ ★ ★

٦ ـ خيانة !

تحول مكتب الأمن إلى خلية نحل ..

قالت (دينا) مخاطبة خالها الدكتور (مؤنس) عبر شاشة الحاسوب النقال :

ـ أدخلنى إلى الشبكة المحلية للإدارة وسأعرف كيف أتعقب مسار الرسائل الواردة على هذا البريد ..

ارتسم القلق على وجه (مؤنس) إذ قال :

ـ لكن هذا ربما يشكل خطورة على كفاءة عمل الحاسبات الآلية المتصلة بها ..

قالت دون انفعال ، وهى تجاهد لطرد النعاس من عينيها المحمرتين :

ـ إنها مسألة أولويات ، لتأخذ إذن اللواء (حفنى) قبلها ..

ـ معقول ، انتظرى لحظة ..

وغاب عن الشاشة ، فى اللحظة التى كان (شاهين) فيها يقول لـ (عمر) فى توتر ناقلاً له ما يقال فى سماعة هاتف مكتبه :

- رجالى يقولون إن السيارة الخضراء التى يستخدمانها غير موجودة فى المرآب ..

غمغم (عمر) مقطبًا ، وهو يقلب فى الأوراق أمامه ، وقد حملت لهجته كل المشاعر السوداء الناجمة عما رآه منذ قليل :

- لقد هربا بها إذن ..

هز (شاهين) رأسه بالإيجاب :

- أحد رجالى يقول إنه رآها تتحرك براكبين منذ دقائق قليلة !

غمغم (عمر) مستنتجًا :

- إنهما من أطلقا النار علينا ..

قال (شاهين) وهو يعيد سماعة الهاتف إلى مستقرها ، والكراهية تقطر من شفتيه :

- وهم من قتلا مسئول خدمة الغرف ..

هز (عمر) رأسه بالإيجاب :

- هذا واضح ..

وفكر بسرعة بينما (شاهين) يسأله فى حيرة :

- هل معنى هذا أن الإسرائيلى برىء ، أم ماذا ؟!

تجاهل (عمر) سؤاله وهو يقول فى حزم :

- لن نتركهما يفلتان ..

والتفت إلى (شاهين) قائلاً فى لهجة آمرة :

- .. أريد نسخًا من صور جوازى سفرهما التى يتم أخذها فى سجلات الاستقبال .

قال (شاهين) فى تعاون وقد فهم ما يرمى إليه :

- هذه بسيطة ..

تابع (عمر) :

- سنقوم بتوزيع نشرة بأوصافهما وصورتيهما المأخوذتين من جواز السفر ، ونرسل بها إلى جميع النقاط والمراكز المنتشرة على كل الطرق الداخلة إلى والخارجة من (طابا) ..

نظر (شاهين) فى ساعته قائلاً :

- لكن التوقيت ..

قاطعه (عمر) بنفس الحزم :

ـ .. أريد دائرة من لجان التفتيش على الطرق مداها لا يقل عن ٥٠ كيلومترًا فى جميع الجهات ، أنبئهم أيضًا بأوصاف السيارة وأرقامها إن تيسر ..

ـ سأفعل فى الحال ..

قالها (شاهين) وهو يتناول سماعة هاتفه فى حماسة ، بينما التفتت (دينا) إلى (عمر) تسأله وهى تعدل من وضع نظارتها الطبية فوق عينيها الملونتين :

ـ هل تظن أن التصميمات فى حوزتيهما ؟!

• تنهد بعمق ، وتراجع فى مقعده مباعدًا بين ذراعيه ليستمد من حركته بعض الطاقة ، قبل أن ينظر شاردًا فى المجهول لحيظات ، ويقول بعدها :

ـ لا أدرى ، ربما كان هذا بديهيًا لكنى أشعر بأن هناك شيئًا ما غير منطقى فى كل ما يحدث ، شىء لا أدرى كنهه لكن فيه حل اللغز كله ..

قالت وهى تهز رأسها :

ـ أعرف هذا الشعور ..

نظر إليها مستغربًا فقالت موضحة :

ـ .. لقد قرأت الكثير من الروايات البوليسية فى طفولتى !

ابتسم لدعابتها غير المتوقعة ، وكاد يقول شيئًا قبل أن يسبقه الدكتور (مؤنس) الذى ارتسم مجددًا فوق الشاشة وهو يقول فى راحة :

ـ اللواء (حفنى) وافق على دخولى إلى شبكة الإدارة المحلية ..

قالت :

ـ إنى أنتظر ..

ـ اجعلى نفسى فى منزلك !

قالها الدكتور (مؤنس) بالإنجليزية قبل أن يختفى مرة أخرى ، وانهمكت (دينا) بعدها فى العمل على الأزرار ، فيما أنهى (شاهين) مكالماته ، ونهض خارجًا :

ـ سأشرف على كل شىء بنفسى ..

قال (عمر) مومئًا له :

ـ هذا أفضل !

واختفى (شاهين) خلف الباب المغلق ، فيما انهمك (عمر) فى التفكير ..

ما هو الخيط المفقود فى كل ما يجرّى ؟!

ما هو الشيء غير المنطقى الذى يمكن فيه حل اللغز كله ؟!

ما ذلك الشعور الممض بالنقصان ؟!

ما ذلك الـ ....

مرت خيوط القضية أمام ناظريه فى سرعة ، قبل أن يغمض جفنيه لا شعوريًا ، ويذهب إلى عالم آخر ..

عالم فسفورى الإضاءة ، يمتد مداه إلى اللانهاية فى كل الاتجاهات ..

كان يسير وحيدًا ، دون أن يعرف له هدفًا أو وجهة ..

وفجأة ، رأى كرة من الضوء تتجه نحوه فى سرعة خاطفة ..

بدا أنه لا مناص من أن تصطدم به ، فأغلق عينيه فى الانتظار ..

لكنها لم تصطدم به ، ففتح عينيه فى تساؤل ..

كانت الكرة أمامه مباشرة ، ينعكس وهجها على عينيه ، وهى تدور حول مركزها بسرعة معقولة ..

بسرعة أتاحت له رؤية التناقض بين وجهها المضيء ..

ووجهها المظلم ..

الوجه الآخر ..

ثم ذلك الرنين البغيض !!

ـ هل سترد على هذا الشيء المزعج أم أفعل أنا ؟!

أيقظه تساؤل (دينا) ، فنفض رأسه فى سرعة ، وهو يغمغم مستعيدًا إدراك الموجودات من حوله :

ـ يبدو أننى قد نمت دون أن أشعر ..

قالت وهى تعمل على الحاسوب ، دون أن ترفع نحوه عينًا :

ـ خمنت هذا من وجيب أنفاسك المنتظمة ..

الهاتف مازال يرن ، هاتف مكتب (شاهين) ..

ـ .. لقد رن طويلاً ، ورنينه هذا يقطع على حبل أفكارى !

استنشق نفسًا من هواء الغرفة ، قبل أن ينهض بنفسه قائلاً :

ـ ربما كان (شاهين) نفسه يريدنا فى أمر مهم ..

ورفع السماعة مواصلاً :

ـ .. هل وصلت إلى نتيجة ما ؟ آلو !

قالت وهى تعلم أنه يسمعها بنصفِ أذن :

ـ ليس بعد ، لكن بعض الأمور مبشرة ..

سمعها أم لم يسمعها ، المهم أن أقصى أمارات الجدية وأشد آيات الاهتمام قد ارتسمت على ملامحه وهو يتحدث :

ـ نعم ، لالكنى موجود بدلاً منه .. أنا النقيب (عمر زهران) من إدارة العمليات الخاصة ..

أجل ، سأكون شاكرًا جدًا .. نعم .. ماذا أيضًا .. نعم ، هذا متوقع ..

صمت واستماع ، وفجأة هتف :

ـ .. ماذا ؟! كرر ما قلته من فضلك .. بالإضافة إلى ماذا ؟! ليكن .. أشكرك أحر الشكر ..

أنت رجل مجتهد حقًا ..

وصفق السماعة فوق الهاتف ، قبل أن يهرع نحو باب الغرفة ليفتحه ..

ـ ماذا هناك ؟!

قال قبل أن يغلق الباب خلفه ورائحة (الأدرينالين) تضوع منه كأنها عطر قوى :

ـ وجدت الجزء الناقص ..

وأغلق الباب خلفه ..

★ ★ ★

ضغط أزرار لوحة المفاتيح فى عصبية ..

ـ كنتم تريدون قتلى ؟!

وأتاه الرد البارد متراصًا فى حروف فوق شاشة الحاسوب :

ـ أنت من أخل بالاتفاق أولاً ..

أزرار وعصبية :

ـ أريد حماية نفسى ..

الرد والبرود :

ـ كان الاتفاق أن تعطينا ما نريد فى مقابل حمايتك ..

عصبية وأزرار :

ـ ومن يضمن لى وفاءكم بالعهد ؟!

برود وبرود :

ـ ومن ضمن لنا أنك لن تفى به ؟!

تردد :

ـ أريد نقودًا أكثر ، وسأعطيكم ما تريدون ..

معايرة :

ـ ألم يكفك مليون من الدولارات ؟!

مساومة :

ـ انظروا لأرباحكم من وراء ما لدى ، أنتم تلقون إلىّ بالفتات ..

تحذير :

ـ إنك تزيد موقفك سوءًا ..

تفاوض :

ـ لست أطلب منكم المستحيل ..

سؤال :

ـ كم تريد ؟!

جـــواب :

ـ مليونان آخران !

تصاعد :

ـ لدينا عرض وسوف يعجبك أكثر ..

رجفة :

ـ ما هو ؟!

ذروة :

ـ التصميمات فى مقابل حياتك !

ذهول :

ـ أنتم تهددوننى ؟!

لا مبالاة :

ـ دعك من المسميات ..

تصميم :

ـ أنا لا أخافكم ..

ذروة أعلى :

ـ إذن فالتصميمات فى مقابل حياته ..

توتر رهيب :

ـ من ؟!

القاضية :

ـ ابنك !

سعار :

ـ تبًا لكم أيها الـ ...

ثم طرقات على باب غرفة السكن ..

ـ من ؟!

هتف بها (شاهين) وهو يلهث من خلف باب غرفته التى يسكن بها داخل الفندق ، واستند براحته إلى الباب فى محاولة بائسة للتماسك ، والتغلب على الانفجار ..

ـ خدمة الغرف ..

نظر (شاهين) من العين السحرية ، ولمح عاملة خدمة الغرف الواقفة أمام عربة مليئة بالمناشف والأغطية والملاءات ، فسألها :

ـ ماذا تريدين ؟!

قالت العاملة :

ـ يجب أن أدخل لتغيير الملاءات يا سيدى ..

هتف بها فى جفاف :

ـ اذهبى وعودى لاحقًا ..

لمح تعبيرًا ما فوق وجهها ، قبل أن تهتف فى رعب :

ـ لكن يا سيدى ..

وسقطت مضرجة فى دمائها بسرعة ، بعد أن أصابت رصاصة يسار صدرها فى مقتل ، فشهق (شاهين) الواقف خلف الباب ينظر ، وقبل أن يستطيع فعل أى شىء ، فوجئ به يحتل الصورة وراء العين السحرية وهو يبتسم فى وحشية ..

ـ دورك يا سيدى ..

قالها (ماركوس) ذو الشعر الذهبى الطويل ، وقبل أن يستطيع (شاهين) فعل أى شىء ، قبل أن تواتيه القدرة حتى على التراجع السريع ، أو استلال سلاحه ، أو ...

انطلقت الرصاصات الثلاث ، واخترقت خشب الباب ، ثم جسده فى غير موضع ..

اتسعت عينا (شاهين) رعبًا، وألمًا، ويأسًا، وهو يسقط لتتسخ أرضية الغرفة بالدم ..

الدم الأحمر القانى ..

أطلق (ماركوس) رصاصة أخرى على رتاج الباب فانفتح، فى نفس اللحظة التى علت الشاشة فيها كلمات :

ـ الوداع يا عزيزى، تحياتنا إلى كل من فى الجحيم ..

دلف (ماركوس) إلى الحجرة، وهو يجذب خلفه جثة عاملة التنظيف، وأغلق الباب خلفه ثم شرع يفتش المكان ..

وتحول المكان فى دقيقة إلى ما يشبه غرفة الدكتور (إسماعيل) قبل أن يموت ..

قبل أن يقتل ..

ـ لم أجد التصميمات ..

كتبها (ماركوس) فوق لوحة المفاتيح بعد أن أنهى بحثه الهمجى، فتراصت الكلمات أمام عينيه :

ـ بحثت جيدًا ؟!

ـ فى كل سنتيمتر ..

ـ الوغد !

ـ ربما نجد المطلوب على جهازه هذا ؟! هل أنزع القرص الصلب قبل أن أغادر ؟!

ـ اخترقنا الجهاز وبحثنا فيه، لا توجد ملفات خاصة بالتصميمات ..

ـ وإذن ؟!

ـ أيها الوغد الزنيم !

الهتاف من الخلف، و(عمر) ينظر إلى (ماركوس) بكل ما فى نفسه من مقت ..

بكل ما فى عينيه من دماء وقتل وبشاعة ..

بكل ما فيه من رغبة فى الانتقام ..

انتفض (ماركوس) من جلسته أمام الحاسوب كالملسوع، وصوب مسدسه إلى (عمر) الذى اندفع نحوه كالسهم قبل أن يستطيع ضغط الزناد ..

وحدث الالتحام ..

برغم الإرهاق القاتل الذى يشعر به (عمر)، إلا أنه شعر بطاقة دافقة تسرى فى جسده؛ طاقة جعلته يقبض على يد (ماركوس) الممسكة بالمسدس فى صلابة، وبقبضته الأخرى يكيل له لكمة فى فكه ..

لكمة ساحقة جعلته يتفل دمًا ..

سقط المسدس من يد (ماركوس) ، وتلقى ركلة من ركبة (عمر) فى أمعائه جعلته يصرخ ألمًا ، ويتهاوى أرضًا ..

لم يتركه (عمر) ، قفز فوقه وكال له اللكمات فى وجهه حتى أحاله لوحة مفزعة من الكدمات والجروح والخوار ..

حتى فقد (ماركوس) وعيه تمامًا ..

نهض (عمر) من فوقه لاهثًا ، ونظر إلى الشاشة التى ارتسمت فوقها الكلمات :

ـ ماذا هناك ؟! لماذا لا ترد ؟!

ـ هل حدث خطأ ما ؟!

ـ ما مشكلتك ؟!

اتجه (عمر) نحو الهاتف ، وضغط أزراره بسرعة ، ثم :

ـ (دينا) ، أحتاج إليك هنا فى غرفة (١٦) بسرعة ..

وأغلق السماعة ..

نقل بصره بين محتويات الحجرة المبعثرة ، وجثة عاملة

خدمة الغرف البريئة ، وصديقه المنكفئ على وجهه مقتولاً ، والذى تتحرك يده اليمنى المغطاة بالدم فى بطء ..

يا إلهى ، مازال حيًّا إذن !

دنا منه (عمر) وقلبه ينتفض ، جثا على ركبتيه بجواره وأمسك بيده ، شعر بلزوجة الدم الدافئ على أصابعه قبل أن يقلب (شاهين) على ظهره ..

ويدنو بوجهه من وجهه إلى حد اختلاط الأنفاس تقريبًا ..

ـ (شاهين) ، لم الخيانة يا (شاهين) ؟!

ـ لم .. لم أقتل .. لم أقتل أحدًا ..

ـ الخيانة قاتلة !

همس بها (عمر) والعذاب يمزقه ، بينما جاهد (شاهين) المحتضر ليرفع يده مشيرًا إلى شاشة الحاسب الآلى :

ـ (سـ .. (سـ ..

ـ الخيانة قاتلة يا صديقى .. القديم !

ـ (سمير) .. (سمير) ..

.. وسقط عنقه جانبًا ، بينما انحدرت دمعة على خد (عمر) وهو يتذكر ..

(سأقول فى التحقيق :

إن اللص أصبح يرتدى ثوب المقاتل ..

سأقول فى التحقيق :

إن القائد الموهوب أصبح كالمقاول ..) ..

★ ★ ★

٧ ـ كلمة العبور ..

ـ لقد سرق التصميمات ، لكنه لم يرتكب جريمة قتل !

قالها (عمر) وهو يجلس فوق السرير ، متحاشيًا النظر إلى الجثتين المغطاتين بجواره فى غرفة (شاهين) ، ومتجاهلاً رجال الشرطة والبحث الجنائى المنتشرين فى المكان من حوله ، وموجهًا حديثه إلى (دينا) التى تعمل بهمة على الحاسب الآلى ..

ـ كيف يمكنك أن تتأكد ؟!

سألته دون أن تنظر إليه كعادتها ، فقال :

ـ ربما شعر (شاهين) بالضعف أمام المال ، لكن الأمور لن تصل به للقتل أبدًا ..

عادت تسأله مستخدمة نفس الكلمات :

ـ كيف يمكنك أن تتأكد ؟!

هز كتفيه قائلاً :

ـ مجرد إحساس !

ـ الإحساس دليل لا يعتد به فى مثل هذه الأمور ..

ـ أعلم ..

قالها فى تأثر ، وفى إرهاق ، وفى معاناة ، قبل أن يردف :

ـ .. سنعرف الكثير من البرازيلى اللعين عندما يفيق ، هذا إن كان برازيليًّا بحق !

سألته وهى لا تزال تضغط الأزرار فى سرعة وتناسق :

ـ هل تظن أنه هو قاتل الدكتور (إسماعيل) ؟!

ـ .... !

ـ ومسئول خدمة الغرف ؟!

غمغم (عمر) ، وقد أضحت الراحة حلمًا بعيد المنال برغم التعب :

ـ هو أو زميله الهارب أو الإسرائيلى المعتقل ، أحدهم حتمًا ..

قالت وهى لا تزال تضغط الأزرار فى سرعة وتناسق :

ـ الدكتور (شمعون) ؟! لقد أطلقوا سراحه واعتبروا الحقيبة مدسوسة عليه ..

قال (عمر) مستاءً :

ـ هذا هو الوجه الظاهر من الأمر ، خاصة وقد عثروا على بصمات (شاهين) فوق الحقيبة دون أى أثر لبصمات غيره ؛ اللهم إلا الدكتور (إسماعيل) بالطبع !

وزفر مغمغمًا :

ـ .. لكن لكل أمر وجه آخر ..

قالت وهى لا تزال تضغط الأزرار فى سرعة وتناسق :

ـ ماذا تعنى ؟!

قال محتويًا رأسه بين كفيه :

ـ لا أعرف ، ما زال هناك شىء ناقص ..

قالت فى لهجة لها مغزى :

ـ قلت إنك قد عثرت عليه ..

ـ كنت واهمًا ، والحقيقة ما زالت بعيدة ..

ـ ألا تملك تصورًا مبدئيًّا على الأقل ؟!

أجاب فى إنهاك :

ـ تصور ناقص ..

ـ ليكن تصورًا ناقصًا ، هو أفضل من لا شىء بالتأكيد ..

ـ لِنرَ ..

ثم استطرد مغالبًا ثقل جفنيه :

ـ .. (شاهين) تقاضى مليونًا من الدولارات كما بينت محادثة الإنترنت التى استطعنا حفظها على الجهاز ، وقد قام بسرقة حقيبة التصميمات من غرفة الدكتور (إسماعيل) مستخدمًا المفتاح الرئيسى الذى سرقه (ماركوس) و(باولو) من مسئول خدمة الغرف بعد إذ قتلاه ، وأتى بالحقيبة إلى هنا ثم ألقاها بقليل من العناية داخل غرفة (شمعون) باستخدام نفس المفتاح ، كمحاولة ساذجة ـ ربما ـ لإلصاق التهمة به ، وهكذا نعثر على الحقيبة داخل حجرة (شمعون) ، ونجد جثة مسئول خدمة الغرف داخل حجرة البرازيليين ، ونجد بصمات الدكتور (إسماعيل) و(شاهين) فوق حقيبة التصميمات ، دون أن نجد التصميمات نفسها لأن (شاهين) قد أفلح فى إخفائها جيدًا على ما يبدو ..

ثم سألها :

ـ ما رأيك ؟!

قالت :

ـ لا بأس رغم الكثير من الثغرات !

ـ مثل ماذا ؟!

ـ لماذا لم يعطهم التصميمات حتى الآن ؟! مجرد طمع فى المزيد من المال كما ادعى ؟!

ـ وربما من صدمة القتل المتعدد غير المتوقعة !

ثم سألها :

ـ .. ماذا عنك ؟! وجدت شيئًا ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وهى تقول دون أن ترفع أصابعها عن الأزرار ، أو عينيها عن الشاشة :

ـ ليس بعد ..

سألها ثانيًا :

ـ ألم تتمكنى من تحديد موقع طرف المحادثة الآخر على الأقل ؟!

مطت شفتيها وقالت فى خيبة أمل :

ـ ما إن بدأت فى التعقب حتى انقطع الاتصال بغتة ، فى

الغالب توقع الطرف الآخر أن أمورًا مريبة تحدث نتيجة غياب محدثه فترة طويلة ، وانقطاعه عن الـ ....

بترت عبارتها فجأة ، وانهمكت فى العمل أكثر بينما (عمر) يغمغم مفكرًا :

ـ لماذا قبل (شاهين) بهذه المهانة ؟! وأين يمكنه إخفاء التصميمات فى رأيك ؟!

كان السؤال موجهًا لها ، لكنها لم ترد ..

رأى (عمر) (دينا) منهمكة فى العمل بكل جوارحها ، فأعاد على مسامعها السؤال :

ـ .. هل تملكين تصورًا معينًا عن مكان يصلح لإخفاء تصميمات كهذه ؟!

لم ترد ، فناداها عليها :

ـ .. (دينا) .. (دينا) ..

أفاقت قائلة :

ـ عذرًا ، لكن .. يبدو أننى قد عثرت على مكان إخفاء التصميمات !

هتف بها فى غير تصديق :

ـ حقًا ؟!

قالت وأنفاسها تتسارع من فرط الإثارة :

ـ هنا ، فى ملفات (الكوكيز) !

انعقد حاجباه وهو يقول فى استغراب :

ـ لماذا ؟!

أوضحت :

ـ ملفات (الكوكيز) هى ملفات النظام التى تحتفظ بالمعلومات التى يتم استخدامها كثيرًا أو قريبًا ، مثل آخر الوثائق المحفوظة التى استخدمتها أو آخر المواقع التى قمت بدخولها عبر الشبكة أو ....

سأل متجاوزًا شرحها :

ـ تقصدين أنه يحتفظ بملفات التصميمات على الجهاز ؟!

قالت نافية :

ـ كلا ، أعنى أنه يوجد دليل ما ـ هذا الدليل هو (الكوكيز) ـ

على أنه قد وضع ملفات التصميمات على مزود خاص بحفظ الوثائق على الشبكة ..

وأشارت إلى الشاشة :

ـ هذا هو الموقع ..

نظر ، وحاول أن يجمع شتات أفكاره ، قبل أن يقول :

ـ وأين هى الملفات الأصلية ؟!

قالت وهى لاتزال تشير إلى الشاشة :

ـ (شاهين) مسح أى أثر لها على قرصه الصلب على ما يبدو ، ولم تبق منها إلا نسخة واحدة محفوظة على حساب خاص به على هذا المزود ..

سألها مجددًا وهو عاجز عن فهم المعضلة :

ـ ولماذا لاتنزلينها من الشبكة على الفور ؟!

قالت :

ـ تلك هى المعضلة ..

وفسرت :

ـ .. الحساب محمى بكلمة عبور خاصة !

ران صمت ، قبل أن يعاود (عمر) أسئلته للمرة الألف :

ـ ألا يوجد أثر لكلمة العبور هذه على الجهاز ؟!

ـ كلا ، إنه لم يحفظها فى ملف (كوكيز) !

والتفتت إليه قائلة ، ليغوص فى بحر عينيها الملونتين ، الساحرتين :

ـ .. إذا عثرنا على كلمة العبور هذه ، فقد عثرنا على تصميمات (نيل ٧) ..

قبل أن تتسلل الحيرة إلى نفس (عمر) ، برقت الأفكار فى رأسه متعاقبة ..

* * *

(...

(سـ .. (سـ ..

(سمير شاهين مختار) هو الاسم ، وأسفله تاريخ الميلاد ..

(سمير) .. (سمير) ..

ابنك !

..)

★ ★ ★

ـ أدخلى تاريخ ميلاد الطفل الصغير المدون فوق الصورة .. هل تذكرينه ؟!

ـ ابنه ؟!

ـ فكرة جيدة .. أسألك إن كنت تذكرين التاريخ !

ـ لحسن الحظ أننى أمتلك ذاكرة رقمية جيدة ..

أزرار .. ثم ..

(الدخول مسموح به) ..

ـ رائع ، هذه هى التصميمات حقًا ..

ـ سأبلغ اللواء (حفنى) فى الحال ..

وفكر (عمر) للحظة قبل أن يهتف فى قلق بالغ :

ـ .. (سمير) !

★ ★ ★

دار خاصة بالأطفال المغوليين ..

رجل فى ملابس أنيقة ، ونظارة شمسية ، شعره محلوق على طريقة المارينز ، يجلس فى مكتب مديرة الدار ..

المديرة تتحدث إلى إحدى الأخصائيات :

ـ ماذا يريد أن يقول ؟!

الأخصائية التى تجيد الإنجليزية ترد :

ـ يقول إنه موفد من قبل أحد أولياء الأمور ليصحب ابنه إلى الخارج ..

المديرة تتحلى ببعض البيروقراطية :

ـ لكن لائحة الدار ..

الأخصائية تقاطعها :

ـ معه الأوراق اللازمة كما يدعى ..

المديرة تفكر :

ـ فى هذه الحالة ..

وتعاود السؤال :

ـ .. من يريد ؟!

تنظر الأخصائية فى ورقة صغيرة ، وترفع ناظريها نحو المديرة لتقول :

ـ (سمير شاهين مختار) !

★ ★ ★

[تم الجزء الأول بحمد الله]